الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الثالثة والثلاثون

ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ - ك١/ ديسمبر٢٠١٨م

العدد ٣٨٧

التضحية بالنفس والمال والوقت، واحدة من أهم صفات حامل الدعوة ص٣٩

النظام الرئاسي في تركيا بقيادة أردوغان نظام كفر.. ص٢٣

الأمن الغذائي في ظل دولة الخلافة ص٣٢

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- كلمة الوعي: المبدأ الرأسمالي يحتضر، هل من بديل؟ ٣
- كيف تحبط دولة الخلافةِ محاولات إجهاضها حين نشوئها؟ (٢) ٨
- العوامل الجغرافية لقوة الدولة وضعفها دراسة بدائية ومختصرة (٢) ١٦
- النظام الرئاسي في تركيا بقيادة أردوغان نظام كفر.. ٢٣
- الأمن الغذائي في ظل دولة الخلافة ٣٢
- التضحية بالنفس والمال والوقت، واحدة من أهم صفات حامل الدعوة ٣٩
- أخبار المسلمين في العالم ٤٣
- مع القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ ٤٦
- رياض الجنة: فضل العلم على نوافل العبادات ٤٩
- كلمة أخيرة: خارطة طريق الحل الأميركي في سوريا ٥١

العدد ٣٨٧

السنة الثالثة والثلاثون
ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ
ك١/ديسمبر ٢٠١٨م

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

المبدأ الرأسمالي يحتضر، هل من بديل؟

إن الغرب اليوم، وعلى رأسه أميركا، يخوض صراعه الحضاري مع الأمة بكل وحشية وشراسة، وهذا لا غرابة فيه بالنسبة لأصحاب المبدأ الرأسمالي الخالي من القيم، إلا القيمة المادية التي تقوم على الأنانية الفردية وتقيم علاقاتها على المصالح فحسب، فهو مقطوع الصلة بالله، ولا حسابات لديه إلا حسابات الغلبة والتفوق والاستعلاء... وإننا نراه قد استباح دماء المسلمين ودمر بلادهم وشردهم، في سبيل أن يبقي نفوذه وسيطرته عليهم وعلى بلادهم، وأن يمنعهم من العودة إلى العيش في كنف دينهم، والتحاكم إليه في كل شؤون حياتهم... وهو يريد منعهم؛ لأنه يرى أن في تلك العودة، ليس إنهاءً لنفوذه في بلادهم، ولا كفًا لنهبه خيراتهم فحسب، بل قضاء على حضارته، وتزعم مبدئه في العالم كله... ومن هذا المنطلق نشأ هذا الصراع الحضاري الذي يملك فيه الغرب فيه دولًا وجيوشًا ونفوذًا وإمكانات مادية ضخمة، ويسخرها جميعها في محاربة الإسلام، والعاملين من أهله على التغيير، والذين في المقابل لا يملكون إلا إيمانهم بالله، وبأن دينهم هو الحق، وأنه مبدأ وحضارة تصلح للبشرية جميعًا، وبه صلاحهم وصلاح العالم أجمعين.

والواقع يشير إلى أن المبدأ الرأسمالي أثبت فشله كمبدأ على كل صعيد، والعالم يبحث عن بديل صالح عنه، والإسلام هو المبدأ الوحيد المنافس له، والذي يريد أهله بقوة وبعزيمة لا يمكن ثنيها أن يعود إلى مسرح الحياة الدولية، فهم يرون أنه المخلِّص الوحيد لهم، حتى وللعالم أجمعين، وهذا ما يشكل قلقًا وهاجسًا لا يفارق مخيلة الغربيين، ولجدية هذا الصرع فهو يحتل المرتبة الأولى في سياسته الدولية. ويخطئ من يظن، نتيجة هذا الواقع، أن الإسلام وأهله هم الحلقة الأضعف، وأن النصر معقود للغرب في هذا الصراع... هذا ما يحاول الغرب أن يوهم المسلمين أنه كائن، بل على العكس، فكما هو فاسد في مبدئه، فإنه يثبت أنه فاشل في محاربة الإسلام.

الغرب بات يدرك أن مبدأه فاسد، وأنه في مرحلة ما قبل السقوط، وفي الوقت نفسه يدرك أن الإسلام دين يتميز عن سائر الأديان، وأنه مبدأ عقيدته سياسية، وينبثق عنها نظام حياة متكامل، وليس دينًا فرديًا كالدين النصراني أو الدين اليهودي، دين فيه شريعة حياة وطريقة عيش، دين

منه الدولة، وأحكامه شاملة لكل شؤون حياة الناس، وهو يتعدى تنظيم العلاقات الفردية، إلى تنظيم العلاقات الجماعية، والدولة الإسلامية هي التي ترعى تنظيم العلاقة بين المسلمين، وبينهم وبين غيرهم من رعايا الدولة الإسلامية، وترعى تنظيم العلاقة بين الدولة وغيرها من الدول بناء على أحكام الإسلام... هذا التميُّز، الذي يدركه الغرب تمام الإدراك، يرفضه ويفرض النظرة والتعامل معه كما يتم التعامل مع الدين النصراني واليهودي على أن طابعه فردي فقط... فالغرب ينظر إلى فصل الدين، أي دين، عن الدولة أي دولة، وفصل الدولة، أي دولة، عن الدين، أي دين، بما فيه الإسلام. وبما أن هذا الفصل لا ينسجم مع الإسلام؛ لذلك هو يفرضه فرضًا على المسلمين منذ أول استعماره للمنطقة بعد الحرب العالمية الأولى، وسارت الأمة على خطته الخبيثة تلك عشرات السنين؛ ولكنه بدل أن يسعدها كما وعدها أشقاها وجعل حياتها ضنكى، وهذا ما جعل المسلمين يصحون إلى دينهم، وجعلهم يعَون عليه بعد أن كانوا غافلين.

أما عن فشله في محاربة هذه الحالة من العودة إلى الإسلام، والتي يسميها (الإسلاموية)، ففي البداية ظن الغرب أن الذي يحمل هذا المشروع إنما هم جماعات وأحزاب إسلامية، وأنهم معزولون عن الأمة، وليست ظاهرة عامة؛ فحاربها وشن الحرب عليها، باسم (محاربة الإرهاب)؛ ولكنه مع الثورات أدرك أن الأمة ككل تريد العودة إلى دينها لتحكيمه في حياتها على غير طريقته. فأدرك معها أن كل جهوده التي بذلها طيلة عشرات السنين قد فشلت في إبعاد الأمة عن الفهم الصحيح لدينها؛ ومع هذا الإدراك استشعر بخطر عظيم على مبدئه وحضارته وقيمه من الاندثار، واستشعر أنه في أزمة وورطة... وما يقوم به اليوم من إجرام ومكر لمنع المسلمين من العودة إلى الاحتكام إلى دينهم إنما تشبه حركة المذبوح الذي لا تزيده حركته إلا اقترابًا من أجله. فالأمة بوعيها العام على ضرورة تحكيم دينها قد تقدمت على الكثير من الجماعات التي تدعي العمل للتغيير وتبغيه عوجًا، تلك التي تسير على طريقة الغرب، للوصول إلى الحكم عن طريق اللعبة الديمقراطية وتداول السلطة بينما الأمة تريد التغيير الحقيقي، ولكَم سمعنا من قادة في هذه الحركات يصرحون بأن الأمة قد تقدمت علينا.وبالمجمل... ففي الحقيقة، إن الغرب اليوم يحارب الأمة ككل، ويحارب الإسلام كدين شامل.

وإن فشل حكام أميركا والغرب في التعامل مع هذه الصحوة المباركة على الدين لدى الأمة تجلَّى بكثير من المحاولات التي سعى بها لاحتوائها، ولما فشل أو لم يطمئن إليها عاد وتخلَّى عنها، ومن ذلك:

- لقد توصلت مراكز أبحاثه إلى وضع المعايير التي يحكم بها على الحركات الإسلامية أنها

معتدلة ليتعامل معها ولتكون معه ضد الحركات المتطرفة؛ ولكنه، بعد انتباه، وجد أن تبني هذا الأسلوب سرعان ما سيستغل العاملون لإقامة الخلافة الأوضاع الجديدة التي تنشأ بعد وصول المعتدلين إلى المشاركة بالحكم، أو أن هؤلاء المعتدلين أنفسهم قد يغيرون وينقلبون على الغرب ويطالبون بالحكم الإسلامي الصرف. ولهم في هذا شاهد على ما فعله المجاهدون في أفغانستان من الاستعانة بأميركا حينما كانوا يقاتلون الاتحاد السوفياتي، ومن ثم الانقلاب عليها ومحاربتها بعدما استطاعوا أن يدحروه؛ وعليه ذهبت جهودهم هذه أدراج الرياح...

- وكذلك توصلت مراكز أبحاثهم إلى إنعاش الطرق الصوفية، كونها لا تتدخل في السياسة أبدًا، ولكنه وجد أن هؤلاء لن يفيدوه في القضاء على الصحوة؛ لأن هؤلاء بالأصل هم معزولون عن الأمة، ولن يؤثروا في تغيير نظرتها للتغيير... وهؤلاء فعلًا لم يفيدوه بالرغم من أن بعضهم يتبوأ مراكز دينية هامة في بلادهم، ويقفون إلى جانب عملائهم من الحكام.

- انتشرت لدى حكام أميركا والغرب فكرة إعطاء حريات وحقوق أكثر للمسلمين للتنفيس عن احتقانهم؛ ولكنهم تراجعوا عنها لأنهم وجدوا أن المسلمين بمجرد فتح هذه الكوَّة لهم فسرعان ما سيستغلونها للوثوب إلى الحكم دونه... وكذلك قالوا إن تأمين ظروف معيشية أفضل للمسلمين يقضي على الفقر، وبالتالي على نزوعهم الثوري ضدهم؛ ولكنهم وجدوا أن كثيرًا من المنخرطين في أعمال عدائية لهم هم من الموسرين والمتعلمين... وفي أواخر أيام بوش الابن، رأى أن السبب في كره المسلمين للغرب ومحاربته هو أن الأمة تعيش حالة من القمع الذي يمارسه عليها حكامها؛ فأعلن أن طغيان هؤلاء واستبدادهم هو سبب ثورة الشعوب؛ فنادى بتغيير نهج الحكام، وهنا انتفض الحكام أنفسهم ينصحون أميركا أن إياها أن تنزلق في هذا المنزلق؛ لأن المسلمين سيكونون به هم المستفيدين الأُوَل في إيصال مشروعهم،

- بعد مجيء أوباما وتخليه عن مشروع القرن، أراد أن يفتح صفحة جديدة مع المسلمين (بعد ارتكاب سلفه بوش أبشع المجازر بحقهم وفتح عليهم الجحيم في كل مكان) فبدأ أول جولة خارجية له في مصر القاهرة مصر الأزهر ظنًا منه أنه يطوي صفحة سوداء بصفحة أخرى، ولكنه ما لبث أن وجد نفسه أمام ثورات الأمة. فواجهها بأسلوب آخر، وبمكر وإجرام أقذر، فقد وقف إلى جانب حكام لم يشهد التاريخ أقسى منهم على شعوبهم، أمثال عملائهم حكام سوريا ومصر، معتمدًا على الاستخبارات الأميركية بإطلاق يد الحكام الذين كانوا يصرحون عنهم أنهم استبداديون، وأدت سياسته إلى أن يقتل في عهده أكثر مما قتل في عهد سلفه، أي عاد إلى المربع السابق.

- ومما تقوم به أميركا من أجل إجهاض مشروع الأمة هو إعادة تقسيم بلاد المسلمين على أسس مذهبية وعرقية متخاصمة لئلا تتوحد على دولة إسلامية واحدة، وإننا نطمئن المسلمين إنه ما إن تقوم دولة الخلافة التي يجمع المسلمين على فرضيتها، فإنه سرعان ما تتوحد بلادهم على الإسلام، فالغرب لا يملك التأثير على الأمة بمجموعها في هذا المجال، وإنما يملك بعض النفوس الضعيفة والخائنة ويحملهم على رقاب المسلمين، هؤلاء سيكون من أسهل ما يكون القضاء عليهم ورميهم في مزبلة التارخ متى ملكت أمرها، بل أكثر من ذلك سيكون سقوط هؤلاء مدعاة لالتفاف الأمة حول مولود الخلافة، إن شاء الله تعالى...

- ومما تبنته أميركا ومعها دول الغرب الرأسمالي الكافر في إطار إبعاد الإسلام والمسلمين عن العمل السياسي، أنه أمر بإنشاء منظمات العمل المدني لتأخذ دورها في قيادة الناس في الشارع، وأراد أن يجعل منها وسطًا اجتماعيًا وسياسيًا علمانيًا يحمل مطالب الناس من وجهة نظره، وبالتالي هو يعمل على تلميعهم من أجل أخذ قيادة الناس وليكونوا إحدى أدواته لترسيخ نفوذه في المنطقة، ومن أجل صرف الناس عن توجههم نحو إسلام الحكم.

- ومما تبنته أميركا ومعها دول الغرب مؤخرًا هو عدم السماح لأي جماعة بالقيام بعمل سياسي إسلامي، وفرض فصل العمل الدعوي عن العمل السياسي. وهي في سبيل ذلك، تقوم بالضغط والتهديد الجدي للجماعات الإسلامية العاملة في السياسة لكي تتخلى عن ازدواجيتها، فإما أن تنخرط بعمل سياسي علماني يضم مختلف أبناء البلد، ويكون برنامجها وطنيًا إنمائيًا يعمل من خلال الأنظمة الحاكمة، وإما أن يكون دعويًا، أي قائمًا على الدعوة إلى الأخلاق وفضائل الأعمال... وهذا، قد تقبله بعض الجماعات الإسلامية التي كانت تعتبر نفسها أنها سياسية؛ ولكن لا يقبله المسلمون لأنه، بكل بساطة، لا يقبله الإسلام. وهذا إن أدى فإنما سيؤدي إلى عزل الجماعات التي تقبله عن الأمة، وبالتالي سيفوت على الغرب حصد أي من النتائج التي يرجوها... وهذا سيجعل المسلمين أمام مفاصلة حقيقية؛ إذ ستشهد سقوط كل الحركات التي في دعوتها دخن، ولا تسلم إلا الحركات الإسلامية المخلِصة والمخلَصة، وهذه هي التي وعدها الله بالاستخلاف والتمكين بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾. فهؤلاء الذين يعبدون الله وحده، ولا يشركون معه أحدًا، ولا يهادنون عدوًا ولا يداهنونه، ولا يفرِّطون بأحكام دينهم أدنى تفريط، ولا يؤوِّلون النصوص بحيث يأتي فهمها مجافيًا للدين، ولا يخضعون لضغوط أعدائهم أو يستسلمون؛ هؤلاء

الذين ينصرهم الله... وهؤلاء لا يأتي نصرالله لهم ولا اصطفاؤهم إلا بعد تمسكهم بسيرة رسولهم الكريم الذين يتخذونه أسوة في عملية التغيير، والصبر على ما كان عليه هو وأصحابه... هؤلاء هم الذي وعدهم الله بالاستخلاف في أخر الزمان، بقول الرسول الكريم: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها... ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت**» [رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات]... وهؤلاء وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما رواه ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الشُّهَدَاءُ وَالنَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَجْلِسِهِمْ مِنْهُ**» فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا وجَلِّهِمْ لَنَا. قَالَ: «**قَوْمٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ، مِنْ نِزَاعِ الْقَبَائِلِ، تَصَادَقُوا فِي اللَّهِ وَتَحَابُّوا فِيهِ، يَضَعُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**». [أخرجه الحاكم في المستدرك]... هؤلاء، وهم يعملون، مطمئنون إلى وعد الله الحق لهم بالنصر والاستحلاف والتمكين، ولا يخافون من أن تذهب أميركا وكل أحلافها بوعد الله، فالله سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده، وهو سبحانه الغالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إن المسلمين اليوم يعيشون أجواء صحوة إسلامية حقيقية، ويعلمون أنها لا تكتمل إلا بإقامة دولة إسلامية جامعة، أي خلافة. ومن عجيب مكر الله في هذا الصراع أنه سبحانه يأمرهم بخوضه، وفي الوقت نفسه، يدفعهم الغرب إليه دفعًا، بتصرفاته العدائية الإجرامية لهم ولدينهم... ولن تنفع معه كل محاولاته لمنع الإسلام من الظهور عليه... إن حالة الاحتدام في هذا الصراع تتجمع نيرانها وسيتفجر بركانها ليحرق أخضره ويابسه. أما بالنسبة للمسلمين، فإنها كالماء المتجمع في باطن الأرض بانتظار أن تتفجر منها ينابيع يحيي الله بها الأرض بعد موتها. قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

وإذا كان الغرب يسعى لتيئيس المسلمين اليوم ليروا التغيير بعيدًا أو مستحيلًا فإننا نراه، بإذن الله تعالى، قريبًا، نرى أن فجر الإسلام قد آذن بالبلج، وإنها لمسألة صبر ساعة، وكل آت قريب، قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾. ■

كيف تحبط دولة الخلافةِ
محاولات إجهاضها حين نشوئها؟ (٢)

ثائر سلامة (أبو مالك)

نطرح الآن خطوطًا عريضة لتبيان كيفية العمل، علمًا أن عقول المشرفين على الخلافة (الخليفة وأعوانه) أكبر من عقل من يكتب هذه الأسطر، والواقع الدولي في حينه يكون أوضح من توقعاتنا له الآن، هذه الخطوط العريضة تتلخص فيما يلي:

١- خير أمة أخرجت للناس لا تستجدي حقها ولا تناله اختلاسًا؛ خير أمة لا ترضى أن تكون في ذيل الأمم، مهيضة الجناح، مستباحة البيضة، وهي تحمل للبشرية خير رسالة تؤهلها للوقوف بكل قوة في وجه هيمنة الحضارة الغربية.

٢- إن الأفكار في أية أمة من الأمم هي أعظم ثروة تنالها الأمة في حياتها إن كانت أمة ناشئة، وأعظم هبة يتسلمها الجيل من سلفه إذا كانت الأمة عريقة في الفكر المستنير. أما الثروة المادية، والاكتشافات العلمية، والمخترعات الصناعية، وما شاكل ذلك فإن مكانها دون الأفكار بكثير، بل إنه يتوقف الوصول إليها على الأفكار، ويتوقف الاحتفاظ بها على الأفكار. فإذا دُمِّرَتْ ثروة الأمة المادية فسرعان ما يعاد تجديدها، ما دامت الأمة محتفظة بثروتها الفكرية. أما إذا تداعت الثروة الفكرية، وظلت الأمة محتفظة بثروتها المادية فسرعان ما تتضاءل هذه الثروة، وترتدّ الأمّة إلى حالة الفقر. كما أن معظم الحقائق العلمية التي اكتشفتها الأمة يمكن أن تهتدي إليها مرة أخرى إذا فقدتها دون أن تفقد طريقة تفكيرها. أما إذا فقدت طريقة التفكير المنتجة فسرعان ما ترتد إلى الوراء وتفقد ما لديها من مكتشفات ومخترعات. ومن هنا كان لا بد من الحرص على الأفكار أولًا. وعلى أساس هذه الأفكار، وحسب طريقة التفكير المنْتِجَة تُكْسَب الثروة المادية، ويُسعى للوصول إلى المكتشفات العلمية والاختراعات الصناعية وما شاكلها[١]

لا شك أن الفكر أمضى قوة من السلاح، فالاتحاد السوفياتي في أوج قوته وامتلاكه أسلحة كافية لتدمير الأرض كلها سقط في سويعات بسقوط المنظومة الفكرية التي قام عليها بعد أن وهن إيمان الشعب بها، وأن الرسول ﷺ أقام الدولة الإسلامية في المدينة قبل أن ينقل إليها التكنولوجيا والأسلحة، أقامها بالفكر، وما هي إلا عشر سنوات حتى هاجمت أعظم إمبراطوريتين في الأرض وقتها، فقضت على الإمبراطورية الفارسية في زهاء عشر سنوات، وهزمت الإمبراطورية البيزنطية في الشام هزائم نكراء. من هنا، فإن العمود الأهم والركيزة الأقوى في بناء أي دولة هي أساسها الفكري،

١ مقدمة كتاب: النظام الاقتصادي في الإسلام لتقي الدين النبهاني.

وهذا الأساس الفكري للدولة الإسلامية، بما في الإسلام من قوة فكرية، كفيل بضمان انتصارها!

٣- وقد فشل الغرب الكافر أيما فشل في أن يبدل دين الأمة، أو يهز ثقتها بدينها، أو أن يقدم لها البديل، فالأمة رفضت اختيار العلمانيين في مصر، وتنظر إليهم بأنهم مصدر الفساد في باكستان وبنغلادش، وكل الأنظمة العلمانية في المنطقة تستند لقوة العسكر أو العمالة، ولم تنجح أميركا بتسويقهم إلا من خلال النموذج التركي الذي يحاول لبس عباءة الإسلام، أو هكذا ينظر إليه من يؤيده من المسلمين ظنًا منهم بأنه يتدرج لتطبيق الإسلام، ولكن العلمانية نفسها فشلت أيما فشل، ولا بد للدولة من أساس فكري، وحين فشل الغرب الكافر بتأسيس أساس فكري للدول في العالم الإسلامي، فإنه يكون وضع أهم المسامير في نعش مشروعه لتعطيل قيام الدولة الإسلامية القائمة على فكر راسخ لدى الأمة! «ومن المؤشرات التي تدل على ذلك أن عملية ترويج وتسويق تشريعات الكفر وأفكاره في بلاد المسلمين لا يُكتب لها النجاح إذا لم تصبغ بصبغة إسلامية، وإذا لم تُروِّج لها عمائم إسلامية باعت دينها بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين»[٢].

٤- ليس ثمة أقوى من فكرة آن أوانها[٣]: في مقال نشرته «مؤسسة مناهَضة الحرب» في ٢٠٠٦/٦/٢٣م، بقلم باتريك بوشانان المستشار الكبير السابق للرؤساء نيكسون وفورد وريغان، بعنوان «فكرة آن أوانها» تتكلم عن أن عملية إحياء للإسلام تجري اليوم، وأن فكرة الحكم الإسلامي تتوطد عراها بين المسلمين بالرغم من مقاومة الغرب الشديدة... ويدعو أميركا إلى انتهاج سياسة جديدة في تعاملها مع المسلمين. ومما جاء في المقال: «لقد كان بيلوك متنبئًا، فبينما تبدو النصرانية وكأنها في حالة موت في أوروبا، فإن الإسلام ينهض ليزلزل القرن الواحد والعشرين، كما فعل قبل عدة قرون سابقة. فعلًا، عندما نشاهد القوات المسلحة الأميركية، وهي تحارب السنة الثائرة على السلطة والمجاهدين الشيعة والجهاديين في العراق، وطالبان الخارجة على القانون، وهم يبتهلون إلى الله، تعود إلى أذهاننا كلمات فيكتور هيغو: «إن قوة أي جيش لا تضاهي انبعاث فكرة آن أوانها».

إن الفكرة التي يعاديها كثير من المناوئين هي فكرة تفرض نفسها، فهم يعتقدون أن هنالك إلهًا واحدًا هو (الله) وأن (محمدًا) رسول الله، وأن الإسلام أو الخضوع للقرآن هو الطريق الوحيد إلى الجنة. وأن المجتمع الرباني يجب أن يحكم بواسطة الشريعة أي قانون الإسلام. وبعد اختبار طرق

---

٢ «فالديمقراطية مثلًا لا يُرَوَّجُ لها «الآن» في بلاد المسلمين على اعتبار أنها تعني: أعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ولا أنها تعني أن المشرع هو الإنسان وليس الله تعالى. وإنما يُروَّج لها على اعتبار أنها تعني رفع الأحكام القمعية التي تفرضها أنظمة الحكم البوليسي التي تتحكم في رقاب المسلمين، وعلى اعتبار أنها هي الشورى. وعلى ذلك فإن الدعاية لترويج وتسويق الديمقراطية في بلاد المسلمين إنما تكون للّفظ دون المعنى الحقيقي الذي تدل عليه. وبالتالي فإن قبول المسلمين للديمقراطية إن وجد فهو قبولٌ لِلّفظ المقترن بالمدلول الإسلامية ليس غير»
اتجاه الرأي العام في العالم الإسلامي د. ماهر عبد الجواد، الوعي العدد ٩٣ كانون الثاني ١٩٩٤.

٣ إعرف عدوك: فكرة الحكم بالإسلام تتوطد عراها بين المسلمين، مجلة الوعي العدد ٢٣٤-٢٣٥

أخرى أدت إلى الفشل، فقد عادوا مجددًا إلى موطن الإسلام. إن جَلَدَ الإيمان الإسلامي مدهشٌ حقًا.

لقد بقي الإسلام على قيد الحياة، رغم مضي قرنين على الهزيمة والذل الذي أصاب الإمبراطورية العثمانية والقضاء على الخلافة في عهد مصطفى كمال. كما تحمَّل الإسلام حكم الغرب لأجيال عدة.

ثم يختم الكاتب مقالته بما يلي: «ما يتوجب على أميركا أن تدركه، هو شيء غير اعتيادي بالنسبة لنا: من المغرب إلى باكستان، لن تنظر لنا الأغلبية بعد الآن على أننا أشخاص طيبون. إذا كان الحكم الإسلامي فكرة تتوطد عراها بين الجماهير المسلمة، **فكيف باستطاعة أقوى الجيوش على الأرض أن توقفها؟** ألسنا بحاجة إلى سياسة جديدة؟[٤]»

٥- ومن دلائل ذلك نجد أن جورج بوش الأب، وهو في أوج جنون العظمة الأميركية، وحين كان يريد قتال العراق، قام صدام بملامسة الإسلام ملامسة خفيفة في بعض تصريحاته، إذ أشار إلى الأماكن المقدسة في السعودية، وإلى أن أميركا تسيطر الآن على هذه الأماكن، وحض المسلمين والعرب على التحرك ضد أميركا، فظهر الارتباك والرعب على بوش. وبرز ذلك في الخطاب الذي ألقاه بوش في ٩٠/٠٨/١٥ في وزارة الدفاع الأميركية. قال بوش: «إن العمل الأميركي في الخليج لا يتعلق بالدين أو بالطمع أو بالفروقات الثقافية كما يحاول العراق تصويره». وأضاف بوش: «إن صدام ادعى أنها جهاد العرب ضد الكفار... وهو من استعمل الغاز السام ضد الرجال والنساء والأطفال في بلده، وهو الذي غزا إيران في حرب كلّفت أرواح أكثر من نصف مليون مسلم» وأضاف: «صدام حول الغنى إلى الفقر بسبب الحرب التي شنّها على المسلمين الآخرين» وأضاف: «صدام يصوّرها صراعًا بين العرب والأميركيين، والحقيقة أن صدام هو الذي يهدد الآن الأمة العربية في حين إننا نسعى إلى مساعدة أصدقائنا العرب» وأضاف: «نحن لسنا وحدنا ضد صدام بل تقف معنا الدول العربية والإسلامية المحيطة به».

إن هذه العبارات من بوش تدل على أنه يرتعد خوفًا من تحول المواجهة بين أميركا والعراق إلى مواجهة بين أميركا والعرب، ويخاف أكثر وأكثر من تحولها إلى مواجهة بين أميركا والمسلمين. ولذلك كرر كلمة العرب والمسلمين مرات كثيرة وحاول أن يصوّر أميركا أنها صديقة العرب وصديقة المسلمين، وأن العراق هو عدو العرب وهو عدو المسلمين[٥].

٦- إن الناس الذين دخلوا مع المسلمين في الصراع الدموي على مر العصور، لم يكونوا يدركون مدى ما للعقيدة الإسلامية، أي للفكر، من قوة وتأثير في القوة المادية، ولذلك كانوا يعتمدون على زيادة قوتهم المادية على قوة المسلمين ليهزموا المسلمين، ولكنهم بالرغم من هذه الزيادة في القوة كان المسلمون ينتصرون عليهم رغم ضعف المسلمين وقلة عددهم، ولم تنفع زيادة القوة المادية

٤ An Idea Whose Time Has Come؟ Patrick J. Buchanan

٥ كلمة الوعي: أميركا ترتعب من الإسلام العدد ٤١

أصحابها في ميادين الحرب، وظل النصر حليفًا للمسلمين. هكذا كان حال المشركين مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وهكذا كان حال الروم والفرس مع الصحابة، يقف ثلاثة آلاف من المسلمين أمام مائتي ألف من الروم في مؤتة، وفي اليرموك كان تعداد المسلمين ٣٦ ألفا مقابل ٢٤٠ ألفا من الروم، بأسلحتهم ودروعهم وعتادهم الحربي الذي فاق كثيراً ما لدى المسلمين. وكان تعداد جيش الفتح الذي اجتاح فارس ١٨ ألفًا من المسلمين، لم تصمد أمامهم راية، وانهارت مدائن الفرس واحدة تلو الأخرى. وفي القادسية كان المسلمون ٣٠ ألفًا، والفرس حوالى ٢٠٠ ألف، وانتصر المسلمون، وقضوا على الإمبراطورية الفارسية ما بين ١١هـ، و٢٣هـ قضاء تامًا. وما خسر المسلمون الحرب إلا مرتين اثنتين ليس غير، إحداهما في الحروب الصليبية قد خسروا الحرب وإن عادوا واستأنفوا الحرب وكسبوها، والثانية في القرن التاسع عشر الميلادي بطوله حتى انتهت بهزيمتهم نهائيًا في الحرب العالمية الأولى.

٧- هناك حقيقة وهي أن أميركا خاضت حروبًا ضد العالم الإسلامي استنزفتها، وأغرقتها في وحل الديون، لقد بلغت تكلفة الحرب على العراق ثلاثة تريليونات دولار، بحسب جوزيف ستيغلتز الحائز على جائزة نوبل للاقتصاد، قال: «بات من الجلي الآن أن الغزو الأميركي للعراق كان خطأ فادحًا، فثمة نحو من ٤٠٠٠ جندي أميركي قضوا نحبهم فيه، بالإضافة إلى ٥٨٠٠٠ آخرين سقطوا ما بين جريح أو متأذ أو مصاب بمرض خطير، ناهيك عن ٧٣٠٠ جندي جرحوا أو تأذوا أو أصيبوا بمرض خطير في أفغانستان، وقد عاد مائة ألف جندي أميركي من الحرب وهم يعانون من اضطرابات خطيرة في صحتهم العقلية والنفسية، الشطر الأكبر منها ستتحول إلى بلوى مزمنة.[٦] وأما الحرب على أفغانستان، فما زالت تكلف الخزينة الأميركية حوالى ٤٥ مليار دولار سنويًا، وبحسب الـ بي بي سي: «وحسب تقديرات مركز الدراسات الاستراتيجية الذي يترأسه أنطوني كوردسمان فإن الكلفة المباشرة للحرب في أفغانستان بما في ذلك المبلغ المخصص لها للعام المقبل قد بلغت ٨٤١ مليار دولار. بينما تقول تقديرات أخرى إن هذه الحرب التي دخلت عامها السادس عشر (٢٠١٧) قد تجاوزت تريليون دولار إذا أخذنا بعين الاعتبار كلفتها غير المباشرة، دون أن يلوح في الأفق ما يشير إلى نهاية قريبة لهذه الحرب. فعلى سبيل المثال ترى نيتا كراوفورد، منسقة مشروع كلفة الحروب في جامعة براون الأميركية أن كلفة الحروب الأميركية في كل من العراق وأفغانستان وباكستان منذ عام ٢٠٠١ قد قاربت ٥ تريليون دولار من بينها ٢ تريليون كلفة الحرب الأفغانية بما في ذلك الكلفة المتوقعة مستقبلًا»[٧].

٨- حين أرادت أميركا خوض حربها ضد العراق قامت بتجنيد كم هائل من المرتزقة، بعد أن يئست من أن يتجاوب الشارع الأميركي معها فيتطوع لخوض غمار تلك الحرب، فجندت أميركا

٦ حرب الثلاثة تريليونات دولار، الكلفة الحقيقية لحرب العراق، جوزيف ستيغلتز، ص ١١

٧ الكلفة الفلكية للحرب الأميركية في أفغانستان بي بي سي ٢٢- آب – ٢٠١٧.

٢٠٠ ألف مرتزق في حرب العراق[٨]، من خلال بضع شركات استفادت من ذلك الوضع مثل شركات: Blackwater USA , Dyn Corp, Triple Canopy, Erinys and Armor Group، وأميركا لا تملك ضبطًا ولا ربطًا لجرائمهم، وسلوكهم، وفوق ذلك لا تملك ولاءهم، خصوصًا إذا عرفنا أن قسمًا كبيرًا منهم ليسوا من الأميركيين، بل من المهاجرين الذين وعدتهم الحكومة وقتها بتحسين أوضاع هجرتهم، وحين رجعوا من تلك الحرب تنكرت لهم، وواجهوا مشاكلهم الصحية والنفسية والمالية بأنفسهم.

هذا، وبحسب بعض التقديرات من أعضاء مجلس الشيوخ الأميركان، فإن ٤٠٪ مما ينفق على الحروب الأميركية تجنيه تلك الشركات الخاصة التي تجند المرتزقة، وهذه تكلفة ضخمة وعبء كبير على كاهل بلد بلغت ديونها أكثر من عشرين تريليون دولار!

إن أي حرب تخوضها أميركا ضد العالم الإسلامي كفيلة بتقليص قدراتها العسكرية بما يزيد على ٢٠٪ على أقل تقدير، وهذا يقلص المسافة بينها وبين كل منافسيها في العالم من روسيا والصين، ويضع قدرتها على البقاء مهيمنة عليه على المحك، فهي ولا شك ستخرج خاسرة من الحرب على العالم الإسلامي مهما كانت تلك المحاولة. ولذلك فهي استعانت بإيران وروسيا وتركيا في حربها في الشام، فقامت روسيا بمساعدتها في حربها ضد فصائل وتنظيمات في الشام، وأحرقت الأخضر واليابس فيها، ولكن الوضع مختلف حين تواجه دولة!

٩- حين كانت أميركا تحدث نفسها بضرب إيران إبان البرنامج النووي الإيراني، قام الصحفي المشهور سيمون هيرش[٩] بإعداد دراسة عن تلك الحرب، خلص فيها، بعد استشارة خبراء عسكريين واستراتيجيين، أنه لا يمكن حسم نتيجة أي حرب من الجو، ولا بد من المواجهة البرية، وقد استقرأ حروبًا كثيرة، لم تحسم بالقصف الجوي مهما بلغت قوته، ومن ثم فإن إرسال الجنود برًا في عمق العالم الإسلامي لن يكون مغامرة محسومة النتائج لأميركا!

١٠- وحين دخلت أميركا في حرب ضد العراق، قامت بتجييش ٢٣ دولة معها، واستغرق الإعداد ستة أشهر، ولم يكن لينجح لولا الدعم اللوجستي والانطلاق من قواعد في العالم الإسلامي مثل السعودية والكويت، وهذا كله بسوء عملاء العالم الغربي من حكام المسلمين، ولكن حين تقوم الخلافة إن شاء الله تعالى ستنهار تلك الأنظمة الكرتونية انهيار أحجار الدومينو، فهي أنظمة بالغة الهشاشة، ولا امتداد لها في العالم الإسلامي، ولذلك سيصعب على أميركا أن تجد لها منطلقًا سهلًا تنطلق فيه لحرب مصيرية كتلك التي ستحاول من خلالها إجهاض الدولة الإسلامية.

١١- لقد أنفقت دويلات الضرار على التسليح مبالغ فلكية، وهناك دول تملك قوة هائلة

٨ The Mercenary Revolution: Flush with Profits from the Iraq War,

٩ Iran And the Bomb, Shifting Targets, ,؟The Iran Plans, Our Men in Iran .the next act, last stand

حقيقية مثل تركيا، وباكستان، ومن طبيعة الجيوش هي أنها تتربى على الطاعة للأوامر، لذلك فإننا إذا استطعنا العمل على إزاحة طبقة العملاء في قيادات الجيوش، والعمل على الاستنصار بالطبقة المخلصة من الضباط المنتمين لهذه الأمة الذين يعتنقون العقيدة الإسلامية، فإن أمر تغير الجيوش لصالح الأمة أسهل من تغير الناس العاديين، لأنهم بطبيعة الحال سيستجيبون للأوامر التي تأتيهم من الطبقة المخلصة، والدولة التي تمتلك مضادات للصواريخ وللطائرات، وضباطًا متدربين أصحاب خبرات عسكرية، يصعب الانتصار عليها بقصفها من الجو، ويصعب احتلالها، وإن احتلال المدن الرئيسية في العالم الإسلامي كبغداد والقاهرة وإسطنبول وإسلام أباد ليس برحلة سياحية سهلة! **ومرة أخرى لا تصح المقارنة بين ما جرى على الأنظمة المهترئة وبين الدولة الإسلامية المخلصة!**

١٢- تمتلك الأمة الإسلامية ثروات هائلة ليس بمقدور العالم التخلي عنها، من ذلك مثلًا المخزون الهائل من الطاقة، وما بين قيام الخلافة ومحاولات القيام بحرب ضدها، تكون الخلافة قد قطعت تلك الإمدادات عن العالم كله، فتستفحل الأزمات الاقتصادية، وتتعطل الحياة في الغرب بحيث تتعرض حكوماته لضغوط شعبية هائلة، فتمد دولة الخلافة يدها لإقامة تحالفات استراتيجية مهمة مقابل تلك الطاقة، فتقسم المعسكر المناوئ قسمين وتجعل مهمة القسم المعادي بالغة الصعوبة. وتتعاقد مع علماء وشركات عابرة للقارات على إنشاء صناعات ومراكز أبحاث أو شراء معدات لازمة، وتبدأ رحلة التصنيع الثقيل ونقل التكنولوجيا.

١٣- تتحرق الشعوب الإسلامية للخلاص من حكامها وأنظمتها التي سامتها الويلات، وتتحرق للانعتاق من أوضاعها الكارثية التي وصلت إليها، وتتربص بتلك الأنظمة، وتتحرق شوقًا للانقضاض عليها، وتنظر إلى التغيير بعين الترقب والأمل، وترى وحدتها مصدر قوتها، وحين تسقط تلك الأنظمة، فإنها لن تجد من يناضل عنها لإعادتها، وستجد الأمة تلتف لمنع الرجوع للوراء تابعة للغرب الكافر، ومع الأخذ بالاعتبار أن تلك الأنظمة بالغة الهشاشة والاهتراء، وسهلة السقوط، لذلك فإن انتشار الدولة الإسلامية وامتدادها حال قيامها سيعطيها مساحات واسعة، وبعدًا استراتيجيًا هائلًا، فلا تكون وقتها مجرد عاصمة في بلد ما يمكن غزوها، بل تصبح دولة مترامية الأطراف، وحرب مثل هذه الدولة ليست نزهة سريعة، ولا حربًا خاطفة. والمسلمون لا يتعاطفون الآن مع الأنظمة القائمة في بلادهم، لأنها فُرضت عليهم دون إرادتهم، وهي تناقض عقيدتهم وشريعتهم. وهي بدل أن ترعى شؤونهم تأكلهم، وبدل أن تحافظ عليهم تظلمهم وتذلهم وتكمّ أفواههم. **فلا يصح أن نقيس موقف المسلمين من دولتهم الإسلامية على موقفهم من دول الكفر والظلم القائمة الآن.** وإذا كان الموقف ليكون وقتها هو هو بعد قيام الدولة، فلا تكون الدولة دولة إسلامية ولو تسمّتْ بهذا الإسلام! وعندئذ ستكون دولة بوليسية تحتاج إلى حماية نفسها من شعبها وليس فقط من الدول الخارجية.

إن الدولة التي يحتضنها شعبها لا يمكن إسقاطها بمجرد إسقاط حاكمها، لأن كل فرد فيها يشعر بالمسؤولية ويدافع عنها من الموقف الذي هو فيه؛ تحقيقًا لقول المصطفى ﷺ: «**أنت على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يؤتين من قبلك**» وذلك كالجند في المعركة إذا سقط حامل الراية فسرعان ما يخف غيره لرفعها كي تستمر مرفوعة. هذا الالتفاف من الأمة حول دولتها، وهذا الشعور بالمسؤولية تجاهها، وهذا التصميم الرائع الراسخ على الدفاع عنها الذي يصل إلى جعلها قضية مصيرية تحيا وتموت من أجلها: هذا هو الذي يجعل الدولة الإسلامية تستمر رغم أنف الخصوم.

الرئيس الأميركي السابق ريتشارد نيكسون في كتابه «أميركا والفرصة التاريخية» الصادر في سنة ١٩٩٢م، يلفت نظر الغرب مؤكدًا على هذه الحقيقة بقوله: «هناك عنصران مشتركان فقط في العالم الإسلامي: الدين الإسلامي، ومشاكل الاضطراب السياسي، والإسلام ليس دينًا فقط بل هو أيضًا الأساس لحضارة كبرى، ونحن نتحدث عن العالم الإسلامي ككيان واحد، ليس لأن هنالك مركزًا سياسيًا يوجه سياسته، بل لأن الشعوب التي يتكون منها تتشارك في تيارات سياسية وثقافية مصدرها الحضارة الإسلامية. فالتحركات السياسية في مختلف بلاد العالم الإسلامي تجري وفقًا لإيقاع واحد بصرف النظر عن الفوارق بين هذه البلاد. هذه الوحدة في المعتقد وفي السياسة **تغذي تضامنًا غير متين ولكنه حقيقي**: عندما يقع حدث خطير في جزء من العالم الإسلامي يسمع له صدى أكيد في بقية الأجزاء».

١٤- هناك حقيقة تقول: (إن الشعوب لا تتحرك إلا إذا حُرّكتْ)، وانطلاقًا من ذلك، فإن على القيّمين على الدولة الناشئة أن يتولوْا تحريك الأمة بأقوى وأسرع ما يمكن. قبل قيام الخلافة لا تكون وسائل الإعلام والتحريك بأيدي دعاة الخلافة؛ ولذلك يكون تأثيرهم في هذا المجال محدودًا. أما حين تقوم الخلافة وتصبح هذه الوسائل بأيدي القيّمين عليها، فإن الواجب يحتّم عليهم أن يستثمروا هذه الوسائل وكل الوسائل لتعبئة الأمة وشحن نفوسها. إذ لا نوم ولا راحة بعد اليوم حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا. الأمة الإسلامية مع دولتها الناشئة في سباق مع الزمن.

١٥- حين تتدخل أميركا مع حلفائها وعملائها عسكريًا لهدم الخلافة لا يكون التصدي لها عن طريق الجيش النظامي وحده، بل لا بد أن تشترك الأمة مع الجيش النظامي في صد العدوان. فالجيش النظامي والأمة ستحاربهم بالحرب الشعبية وحرب العصابات.

وهذا التصوّر يوجب على القيّمين على دولة الخلافة أن يبادروا من اللحظة التي تقوم فيها الخلافة إلى:

أ- استدعاء جميع القادرين على حمل السلاح في الأمة لتدربهم على أساليب الحرب الشعبية، وعلى أساليب حرب العصابات، وأن تخضعهم إلى دورات مكثّفة وسريعة تشحنهم خلالها بالإيمان وأفكار الصبر والتضحية والاستشهاد وعدم الفرار، كما تدربهم على مختلف الأساليب والأسلحة اللازمة للحرب الشعبية.

ب- توزيع الأسلحة على جميع من تم تدريبهم وأن تربط كل مجموعة بقائد منها من القادة الشعبيين.

ج- إخضاع الجيش النظامي كله إلى دورات فكرية - إيمانية - استشهادية قوية وسريعة بحيث تصبح نفسيته واستعداده على المستوى المطلوب من المجاهدين المؤمنين.

د- دعوة أبناء الأمة الذين ليسوا تحت حكم الخلافة لأن يتطوعوا ويأتوا إليها لتقوم بتدريبهم وتأهيلهم للقيام بأعمال لنصرة الخلافة، سواء داخل الخلافة أم في أماكن أخرى من العالم.

هـ- تدريب مجموعات ذات أهلية مناسبة لتنشر فورًا في أنحاء العالم الإسلامي وفي أنحاء العالم للقيام بأعمال الضغط المناسبة لدعم الخلافة.

وفي هذا كله تكون الدولة في سباق حثيث مع الزمن قبل وقوع التدخل العسكري من الأعداء.

١٦- في هذه الأجواء تكون أنظار العالم مسلّطة على الخلافة وموقف العالم منها. وتكون مشاعر المسلمين في العالم مع خلافتهم وهم مستعدون للتضحية من أجل دعمها، وهذا يوجب على دولة الخلافة أن تحسن استغلال هذه الموجة المشاعرية الإسلامية العارمة. وقد رأينا ردود الفعل العنيفة من قبل المسلمين حين كانت أزمة الرسومات الكاريكاتورية من الدنمارك وفرنسا، واشتعال نار الغضب في العالم الإسلامي، وهذا ولا شك يهدد المصالح الغربية في غير بقعة من العالم الإسلامي مما لا يحتمله الغرب.

١٧- لا يتصور وجود أشخاص أو حركات أو جماعات داخل الدولة الإسلامية تستطيع أن تكون حيادية في هذه المعركة الفاصلة بين الإسلام والكفر. حتى خارج الدولة الإسلامية يصعب تصوّر وجود علماء مسلمين يجهرون بتبعيتهم لأميركا أو عملاء أميركا والغرب كما حصل حين حرب الخليج؛ لذلك وحين ترى أميركا وحلفاؤها وقوف الأمة الإسلامية وقفة رجل واحد، ومستعدة للموت دفاعًا عن دينها ودولتها، فإن أميركا قد تعدل عن التدخل إلى الحصار الاقتصادي وما شاكله. وليس بالأمر السهل أن تنفذ الحصار في الوقت الذي تتحكم فيه الدولة الإسلامية بموارد طاقة هائلة يحتاجها العالم كله، وبذلك تكون الأمة قد حققت نصرًا قبل خوض المعركة العسكرية. وإذا ركبت أميركا رأسها، فإن الخلافة لا تَسْقط. وصمود الأمة سيغْلِب الدولَ المعتدية ويَغْلِبُ عملاءهم الذين يحاولون تنصيبهم. ولن تتعاون الأمة مع أي عميل ينصبه الكفّار حاكمًا للمسلمين. حتى إن حرسه سيقدم على تصفيته. وإذا أرادت أميركا أن تضع له حرسًا من جنودها فإن الأمة ستصطاد العميل وحرسه كما تصطاد العصافير. وسيخرج الكفّار في النهاية مدحورين.

١٨- ولقد جرت سنة الله تعالى الإلهية بنصر من ينصره، وقد وعد الله تعالى، ووعده حق، بنصر المؤمنين واستخلافهم والتمكين لدينه، ومن كان الله تعالى ناصره فلا غالب له!

﴿...وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾[١٠]■

١٠ أين وصلت الأمة في رحلة العودة إلى الخلافة؟ الوعي العدد ٧٥، بتصرف كبير.

العوامل الجغرافية لقوة الدولة وضعفها
دراسة بدائية ومختصرة (٢)

عبد الحميد عبد الحميد

الدولة مؤسسة تستمد هيبتها من ثقة الأمة التي شكلتها بهدف تحقيق طموحاتها داخل حدودها وخارجها، فلا بد من حيازتها قوة تمكنها من تحقيق تلك الطموحات.. وهذه دراسة بدائية ومختصرة لأهم العوامل الجغرافية لقوة الدولة وضعفها، لخصتها من أحد كتب الجغرافيا السياسية، لتنبيه الشباب عليها، وتكون نواة لدراسات تالية متخصصة ومعمقة.

وقد تناولنا في العدد السابق عوامل ثلاثة هي: الموقع الجغرافي للدول، ومساحتها، وشكلها. وسنتناول في هذا العدد: التضاريس، السهول، والجبال، والموارد الطبيعية، والمناخ، والعامل الاقتصادي.

٤ـ التضاريس ـ السهول:

هناك العديد من المظاهر التضريسية المختلفة في أغلب الدول كالسهول والجبال والهضاب والأودية والأنهار والسهول الساحلية. بينما تحوي القليل من الدول وضعًا تضريسيًا متشابهًا كهولندا والدانمارك اللتين تتكون رقعتهما السياسية من الأراضي السهلية المنخفضة الصالحة للزراعة، على عكس النرويج التي تغلب عليها الجبال والهضاب.

وميزة كل نوع من التضاريس هي إمكانية الدفاع والمقاومة أو العكس في إمكان الاجتياح من قبل الغزاة، كسهول بلاد الشام الممتدة من شمالها إلى الجنوب التي سهلت احتلالها من قبل الغزاة على مر التاريخ. والسهل الواسع شمال أوروبا ـ ومن ضمنه بولونيا كان أكثر عرضة للغزوات من المناطق الجبلية المركزية في جنوب أوروبا؛ حيث يسهِّل غزو الدول فقدان الحواجز الطبيعية كالجبال والأودية والأنهار على تخومها.

وتؤمن المناطق السهلية شبكة مواصلات جيدة مفيدة أوقات السلم في تنشيط الاقتصاد، وهي أفضل أنواع التضاريس لاستغلالها من قبل الشعوب التي تسكنها؛ ولذلك فعادة ما تكون هي المأهولة بالسكان. والسهول هي التي تزود العالم بالمواد الغذائية من خلال استغلالها في الزراعة إذا ما توافر فيها المناخ المناسب والمطر الكافي. أما إن كان السهل واسعًا والأمطار قليلة، فسيكون إنتاجها قليلًا ولا يكاد يكفي سكانها القلائل أيضًا، كالسهول الشمالية لكل من كندا وروسيا؛ حيث المناخ البارد والقاسي مما يجعل النشاط الزراعي معدومًا، وكما في سهول مصر وليبيا الشاسعة حيث قلة الأمطار السنوية.

أما وجود أنهار ومستنقعات وأودية ضمن المناطق السهلية فيشكل عامل حماية طبيعيًا

ضد الغزاة ويربك الجيوش المهاجمة، كما مثلت أراضي أوكرانيا السهلية عائقًا طبيعيًا أمام تقدم القوات الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية لاحتوائها على أنهار وأودية عميقة ومستنقعات. وتشكل السهول النواة المركزية لبعض الدول، وخاصة السهول الساحلية منها، بما توفره من المرونة لحركة قوات الدولة، والمردود الاقتصادي المطلوب لبناء القوة العسكرية الكافية للدفاع والتوسع.

والأراضي السهلية الخصبة الوفيرة الأمطار تمتاز بالكثافة السكانية. ونتيجة لسهولة الحركة فينشط التبادل التجاري والتمازج الفكري ويسهل انتشار الآراء والأفكار الدخيلة، إضافة إلى سهولة حدوث التمازج السلالي، كما حدث في بلاد الشام من التمازج البشري والثقافي الكبير عبر الغزوات المتتالية خلال حقب التاريخ، على عكس شبه الجزيرة العربية التي كانت على الدوام بعيدة عن المؤثرات الخارجية.

٥ـ الجبال:

لقد كانت الجبال دائمًا عامل قوة في الدفاع عن حدود الدولة. وعلى الرغم من أنها فقدت جزءًا كبيرًا من أهميتها نتيجة لتطور الأسلحة من طائرات وصواريخ، لكنها راحت تستعمل في نفس الوقت لبناء محطات رادارية بهدف الاستطلاع والتنصت ورصد تحركات العدو. ومعلومة أهمية قمم جبل الشيخ في الجولان جنوب سوريا في السيطرة الاستراتيجية على جميع المناطق المجاورة؛ حيث عمدت أميركا إلى منع حافظ أسد من التنازل عنها لليهود طوال ثلاثين عامًا لأنها تريد أن تسيطر هي عليها مباشرة عبر ما يسمى بالقوات الأممية، ولكن اليهود كانوا على علم بالخطة الأميركية ولم يعيدوها للنظام في سوريا.

ويصعب في المناطق الجبلية شق شبكة من المواصلات لربط المراكز السكنية المتناثرة فوقها، لكنها يمكن أن تكون مصدرًا لثروة نباتية هامة إذا كانت مغطاة بالغابات التي يستفاد من خشبها في بعض الصناعات. ولها دور هام كذلك في زيادة كمية التهطال السنوي.

وتشكل المناطق الجبلية دولًا بكاملها كسويسرا ونيبال وبوتان. حيث توجد سويسرا في المنطقة الجبلية المحيطة ببحيرة لوسرن التي أمنت لها تضاريسها الحماية الطبيعية، وهيأت لها السيطرة على ممرات استراتيجية مهمة من الناحية التجارية، مما دفع الدول الأوروبية إلى تحييدها خلال الحربين العالميتين. وتحتل كل من نيبال وبوتان مجموعة من الأودية المحصورة بين سلاسل جبال الهيمالايا الشاهقة التي تفصلها عن سهول الهند في الجنوب. وتعيق المناطق الجبلية النشاط التجاري وانتقال البشر، وتفتقر إلى الأراضي الزراعية، وتكون غالبًا ذات كثافات سكانية متدنية.

وتشكل الجبال عائقًا يمنع اتصال أبناء الدولة الواحدة، كما في الدول الأميركية المشرفة غربًا على المحيط الهادي والحاوية على سلاسل جبالي روكي والأنديز الطولية بدءًا من كندا

شمالًا وحتى تشيلي في الجنوب؛ حيث يصعب الاتصال ما بين سكان الشريط الساحلي وسكان المناطق الشرقية من هذه الدول.

وتلعب الجبال دور الملجأ الطبيعي للثوار ومركزًا للتمرد ضد الحكومات المركزية، حيث تشكل المناخ الملائم لحرب العصابات المعتمدة على الأسلحة خفيفة الوزن، والمبدأ القتالي: اضرِب واهرُب. حيث استفاد مقاتلو اليونان ويوغوسلافيا وإيطاليا وفرنسا من جبال بلادهم في حروب العصابات التي شنوها ضد الجيوش الألمانية المحتلة. وكذلك استفاد مقاتلو فيتنام في الأجزاء الشمالية والوسطى من فيتنام الجنوبية من الطبيعة الجبلية المكسوة بالغابات في قتالهم ضد الأميركان. والجبال غير الصالحة لحركة المدرعات لا يمكن احتلالها إلا بإنزال جوي. ومما يزيد من سلبيتها شدة انحدارها حيث تعيق الحركة وتقلل من إمكانات رصد العدو إضافة إلى عرقلتها للاتصالات اللاسلكية.

٦ـ الموارد الطبيعية:

بسبب اختلاف التركيب الكيميائي لطبقات الصخور التي تكون تضاريس الأرض، وتباين المناخات حسب القرب والبعد عن خط الاستواء والارتفاع والانخفاض عن سطح البحر، فلقد اختلفت التربة من منطقة إلى أخرى على سطح الأرض، وبالتالي تباين الغطاء النباتي والحيواني، وتنوعت الثروة البرية والبحرية، وتمايزت الموارد الطبيعية التي تمتلكها الدول عن بعضها البعض.

وكلما كانت مساحة الدولة أكبر تنوعت مواردها الطبيعية أكثر. وتعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي سابقًا من الدول التي تكاد رقعتها السياسية تحتوي على معظم الموارد الطبيعية التي تحتاجها الدولة. لكن بسبب التقدم الصناعي وكون العديد من المواد الخام الضرورية للصناعات المعاصرة لا تتوافر في أراضي الدول الصناعية، فتعمد هذه الدول إلى استيرادها من الدول المتخلفة الغنية بها، وفي مقدمتها النفط؛ حيث تصدرها دولها لتستوردها أدوات مصنعة من آلات وسيارات وعتاد عسكري بأسعار مرتفعة قياسًا بأسعار المواد الخام المصدَّرة، ما يجعل ميزانها التجاري دومًا خاسرًا. كذلك فإن اعتماد دولةٍ ما على سلعة خام واحدة يجعلها خاضعة للسوق الخارجية التي تصدر إليها هذه السلعة.

٧ـ المناخ:

يلعب المناخ المعتدل دورًا هامًا في تنشيط فعالية الإنسان، وبالتالي فإنه يساعد في زيادة قوة الدول؛ حيث ساعد المناخ المعتدل لمنطقة حوض المتوسط على نشوء الحضارات الكبرى منذ أقدم العصور، بينما نرى أن المناطق الباردة والحارة الرطبة والحارة الجافة تقيد فعالية الإنسان وتشكل نقاط ضعف للدول.

ويلعب المناخ دورًا كبيرًا في توزيع سكان الدولة. ومن الأمثلة الظاهرة على تأثيره التوزع غير المتساوي لسكان البرازيل، حيث يقطن ٩٠٪ من السكان البالغ عددهم /٢١٠/ مليون نسمة المناطق الشرقية والجنوبية حيث تصل الكثافة

إلى /٢٠/ نسمة في الكم٢، بينما في المناطق الشمالية والغربية فتنخفض الكثافة إلى شخص واحد في الكم٢، وذلك بسبب انتشار الغابات الاستوائية الكثيفة؛ حيث الرطوبة والحرارة المرتفعتين طوال أيام السنة.

أما أستراليا فيقع جزؤها الشمالي في منطقة المناخ الاستوائي وشبه الاستوائي حيث الرطوبة والحرارة المرتفعتين والكثافة السكانية القليلة. أما جزؤها الجنوبي فحرارته جيدة؛ لكن نقص الأمطار يؤثر سلبًا على الزراعة وبالتالي على التوزع السكاني. أما وسط أستراليا الذي تشغله صحراء حارة وجافة فيكاد يكون شبه معدوم من السكان، حيث لا تزيد الكثافة على شخص واحد في كل خمسة كيلومترات مربعة. ولا يوجد في هذه المنطقة سوى بقايا السكان الأصليين الذين نجَوا من إبادة الإنسان الأوروبي. ويبقى الجزء الجنوبي الشرقي والشرقي المعتدلان، فيقطنهما تسعة أعشار السكان البالغ عددهم /٢٥/ مليون نسمة.

وتمتاز المناطق القطبية الباردة بوفرة ثرواتها من الحيوانات البحرية كالحيتان والفقمة، وتعد عديمة الأهمية زراعيًا، إلا أن اكتشاف الثروات المعدنية فيها يعطيها أهمية استراتيجية، كالحديد الخام المكتشف شمال السويد، والذهب والنفط في ألاسكا، إضافةً إلى موقعها القطبي الذي يقصر المسافات بين القارات والدول إذا تم سلوكه بالطائرات. فالطريق التقليدي بين أوسلو ونيويورك الذي يحتاج إلى زمن /٥٣/ ساعة بالطائرة يمكن اختصاره إلى /٢٤/ ساعة إذا سلك الطريق القطبي. وبسبب تقدم القوى الجوية وسلاح الصواريخ أصبحت المنطقة القطبية منطقة ارتكاز استراتيجية، فالمسافة بين موسكو ونيويورك تبلغ /٧٥١٦/ كم، وهي تكفي لاستخدام صواريخ متوسطة المدى.

فالمنطقة القطبية بسبب مناخها البارد لا تشكل أرضية جيدة لدولة قوية، ولم تقم فيها دول وحضارات ذات شأن في السياسة الدولية؛ ولكن المسيطر عليها يملك ميزة استراتيجية هامة بسبب قربها من كل من روسيا ومن أميركا. وإذا تغيرت الدول العظمى يومًا واختلفت موازين القوى فقد تفقد تلك المنطقة أهميتها الاستراتيجية.

ونفس الكلام يقال عن المناطق الاستوائية حيث الحرارة والرطوبة العاليتان طوال العام دون فصل جفاف، مما يجعلها غير صالحة للسكن، إضافة إلى الجو الخانق للتنفس والتربة الفقيرة بالمواد الغذائية بسبب غسلها المستمر بالأمطار الدائمة مما يمنع قيام الزراعات اللازمة، إلا في المناطق الجبلية المرتفعة حيث الحرارة والرطوبة المقبولتان، إلا أنها تكون ذات مساحات صغيرة غير كافية لقيام دول قوية.

أما المناطق الحارة الرطبة لفترة معينة من السنة، والتي يتلوها فصل جاف، كما في الهند والفليبين وكوبا والهند الصينية، فتعد من أكثر مناطق العالم كثافة سكانية، لتوافر الظروف

المناسبة لقيام زراعات جيدة.

فالأمطار الموسمية في الهند التي تزيد مساحتها على /٣,٢٣/ مليون كم٢ ويبلغ تعدادها السكاني /١,٣٢/ مليار نسمة، تؤدي إلى قيام فصلين زراعيين، فصل الصيف ـ الخريف الذي يبدأ ببذر البذور في أيار وينتهي بالحصاد في تشرين الأول والثاني، وفصل الشتاء. الربيع الذي يبدأ بالبذر في تشرين الثاني وينتهي بالحصاد في أيار.

وللمناخ تأثير هام وقت الحروب وأثناء القتال، ففي المناطق ذات المناخ الفصلي من النادر أن تقدم دولتان على خوض معركة بينهما في فصل تساقط الأمطار؛ لأن الآليات الحربية والمدرعات ستسير على أرض رخوة، فلن تستطيع التحرك بالمرونة المطلوبة، حتى إن القوى الجوية والدفاع الجوي سيعرقل أعمالها الطقس الغائم والماطر. فأغلب الحروب العربية (الإسرائيلية) كانت في فصل الصيف لهذا السبب. وعليه فلا يجب أن تتوغل الدبابات التركية هذه الأيام الماطرة في منطقة عفرين. هذا إضافة إلى أن المحاصيل الزراعية تنضج في بداية الصيف، ويجب أن يحصد معظمها قبل بدء المعارك لتؤمن الإمداد الكافي بالغذاء للقوات المتحاربة.

ويجب أن تأخذ الجهات الحكومية الظروف المناخية في عين الاعتبار أثناء الحروب لتقدم نوع الطعام واللباس المناسب للمقاتلين كي يقاتلوا في ظروف مريحة فيقدّموا أفضل ما لديهم؛ فتختلف حاجات المقاتلين في المناطق الصحراوية عنها في المناطق ذات المناخ الحار والماطر، وعنها في المناطق ذات المناخ البارد المثلج. ووجودهم في مناطق المستنقعات والأنهار يرتب عليهم احتياجات غير وجودهم في المناطق الجبلية.

والدول الكبيرة تُعِدُّ قواتها لخوض المعارك في أي مكان من العالم مهما تباينت الظروف المناخية. فغذاء ولباس الجنود الأميركيين في القواعد العسكرية في المنطقة القطبية يختلف عن غذاء ولباس أقرانهم في القاعدة العسكرية دييغو غارسيا في المحيط الهندي، وغير غذاء ولباس البحارة في الأسطول السابع الذي يهدد دول جنوب شرق آسيا. وغنية عن البيان الظروف المناخية السيئة. وغير المحسوبة جيدًا التي تعرض لها الجيشان الفرنسي زمن نابليون والألماني أيام هتلر أثناء توغلهما في الأراضي الروسية، فكانت من أهم أسباب اندحارهما.

فيجب على قادة الدولة التي تريد القيام بعمل عسكري خارج حدودها أخذ الظروف المناخية التي ستدور فيها المعارك بعين الاعتبار. وتعد إيطاليا في غزوها للحبشة سنة /١٩٣٥/م خير مثال على ذلك، حيث تجنبت فصل الصيف الحار والماطر المترافق مع فيضان النيل، وعمدت إلى الهجوم أثناء الشتاء الجاف حيث الأرض الصلبة الصالحة لتحرك المدرعات أثناء العمليات الحربية خارج الطرق المعبدة.

فلكي يقاتل الجندي في ظروف صحية

ونفسية مريحة وبفعالية عالية يجب على القادة تحديد زمن المعارك وساحتها، وذلك لا يتم إلا بأخذ المبادرة من العدو، والاستعداد المسبق وتجهيز الجندي بكل وسائل الراحة.

٨ـ العامل الاقتصادي:

يشكل العامل الاقتصادي ركيزة أساسية يجب أن تستند إليها الدولة في تشكيل قوتها الذاتية، ولبلوغ ذلك لا بد من احتواء رقعتها على موارد طبيعية وافرة في الكم والنوع، وهذا لا يتحقق إلا للدول ذات المساحات الكبيرة التي تحتوي على أنواع مختلفة من الترب والمناخات والتركيبات الجيولوجية، كما هو متوافر بنسب معينة لدى كل من روسيا وأميركا وأستراليا والصين. وإن توافر الموارد الطبيعية من المواد الخام الأولية غير كافٍ إذا لم يكن مترافقًا مع تقدم علمي وصناعي وتقني في الدولة يسمح باستغلال ذاتي لتلك الموارد، وذلك ضمن سياسة صناعية مدروسة تقوم على مبدأ صناعة القوة، بصناعة آلات النقل البري والبحري والجوي والمعدات الصناعية وصناعة المصانع الإنتاجية في القطاعات الغذائية والكيميائية والمخبرية والإلكترونية والبحث العلمي إضافة إلى الصناعات الحربية. وفي ظل التقدم الصناعي الحالي فإن أغلب الدول الصناعية الكبرى تفتقد إلى الكميات المطلوبة من المعادن اللازمة لاستمرار سير العجلة الصناعية في هذه الدول، ولذلك تعمد إلى استيراد هذه المعادن من خارج حدودها.

فاعتماد الولايات المتحدة الأميركية على استيراد المعادن الأساسية، كالحديد والنحاس والبلاتين والقصدير واليورانيوم يزداد يومًا بعد يوم، ولذلك فإن قضية المعادن الأساسية تشغل بال السياسة الأميركية إلى درجة كبيرة قد تقترب من المساحة التي تشغلها قضية النفط. فلا قيمة للنفط إن توقف تصنيع الآلات والمحركات التي ستستعمله، كما حذّر المعهد الجيولوجي الأميركي يومًا. وهذه الأهمية هي التي كانت تفسر مثلًا موقف الولايات المتحدة المنحاز إلى النظام العنصري الذي كان قائمًا في جنوب أفريقيا؛ لكونها كانت تستورد منه اليورانيوم والكروم والبلاتين. أما الحديث عن حاجة أوروبا وأميركا إلى النفط نفسه، وقصتهم مع البقرة الحلوب في الخليج العربي المعطاء جدًا، فحديث سياسي ذو شجون، ولا تتسع له هذه الدراسة البدائية والمختصرة.

هذا عن الدول الكبيرة، أما الدول الصغيرة المساحة وقليلة العدد السكاني، فمهما امتلكت من الثروات المعدنية الأساسية والتقنية الصناعية المتطورة فلن يؤهلها ذلك لأن تكون دولًا عظمى أو حتى قوية قوة معتبرة. وإذا قويت هذه الدول يومًا فتكون قوتها مستندة إلى عوامل خارجية وقوة دول عظمى غيرها، وستزول قوتها عند أول امتحان حقيقي، كقوة ما يسمونها اليوم بدولة (إسرائيل) المصطنعة. وإذا لم تمتلك الدولة الكبيرة تلك المواد الأساسية اللازمة لصناعاتها فهي مضطرة لاستيرادها من

خارج حدودها عبر بحر العلاقات الدولية الذي تنغمس فيه، وتتكون لها فيه شرايين تستمد منها الحياة. وفي هذه الحالة فستخضع لضغوط الدول المصدرة، إضافة إلى ضغوط الدول المنافسة لها على استيراد هذه المواد.

ولا بد لأجل قوة الدولة من تحقيق مستوى عالٍ من الإنتاج الغذائي الذي يجب أن يسد حاجة السكان وبشكل وافر وزائد عن الحاجة في أوقات السلم، باستغلال جميع الأراضي الصالحة للزراعة أفضل استغلال؛ كي يكون لديها وفر غذائي احتياطي أوقات الأزمات والحروب، على اعتبار أنه في الحروب سيذهب قسم كبير من هذا الإنتاج إلى المقاتلين، إضافة إلى قلة عدد المزارعين الذين سيتركون أعمالهم لصالح تكليفهم بمهمات قتالية.

وإذا عجزت الدولة عن سد حاجة مواطنيها من الغذاء ذاتيًا فعليها تأمين ذلك عبر علاقاتها التجارية مع الدول، على شرط ألا يكون ذلك على حساب الانتقاص من سيادتها ومصادرة قرارها السياسي. وفي حالة الارتهان إلى الخارج من أجل الغذاء فيسهل خنق الدولة بحصارها اقتصاديًا عبر القوة العسكرية المباشرة أو عبر المقاطعة.

ومثال ذلك إنجلترا التي تستورد نصف ما تحتاجه من غذاء من خارج حدودها، ففرض حصار بحري وجوي عليها يؤدي إلى استسلامها، وهي تدرك ذلك جيدًا فتعمل لأن يكون أسطولها الجوي والبحري قادرين على تأمين الطرق الملاحية المؤدية إليها. وهذا بالضبط ما حاولت ألمانيا فعله معها في الحربين العالميتين، حيث ضربت حولها حصارًا بحريًا بسلاح الغواصات، وقد نجحت بذلك في الحرب العالمية الأولى، إذ أدت إلى شل حركة نقل المواد الغذائية المتجهة إلى بريطانيا، وأوشكت أن تحدث مجاعة بالشعب الإنجليزي داخل جزيرته. هذا ويجب على الدولة تنمية ثروتها الحيوانية لسد حاجات سكانها من اللحوم والألبان، ويجب عليها تطوير استغلال ثروتها السمكية وتجهيز أسطول بحري لصيد الأسماك وتصنيعها. ويجب على الدولة كذلك امتلاك أسطول نقل جوي، وبحري لتصدير الفائض من سلعها واستيراد اللازم من المواد وتأمين حركة المسافرين من الدولة وإليها، وذلك كله عبر أسطولها الجوي والبحري.

وأخيرًا فلا بد للدولة من شبكة كثيفة من المواصلات داخل حدودها السياسية عبر الطرق المعبدة والسكك الحديدية وذلك لزيادة تماسك أجزاء الدولة، وربطها ربطًا محكمًا بالعاصمة، وتسهيل وتسريع حركة القوات العسكرية عبر أجزائها في حالات الأخطار الخارجية والداخلية. إضافةً إلى أنها تزيد من اتصال سكان الدولة ببعضهم البعض، فتنمي الروح المشتركة، وتحدّ من الشعور الانفصالي في المقاطعات البعيدة، وتجعل قيام الحركات الانفصالية ضعيف فرص النجاح، لتوافر عوامل القضاء عليها والحفاظ على وحدة الدولة.■

النظام الرئاسي في تركيا بقيادة أردوغان نظام كفر، محاسبته والإنكار عليه فرض، ومتابعته بالرضى عنه والتعويل عليه حرام.

أبو حنيفة - الأرض المباركة فلسطين

دأب الكفار بحيل المكر إلى تضليل الشعوب بتلبيس مشاريعهم السياسية لبوسًا يستهوي جماهير المسلمين حسب الطلب، تارة بلبوس قومي، وتارة بلبوس ثوري تحرري، وتارة أخرى بلبوس الممانعة... وها هي أميركا الكافرة تُطل علينا اليوم بنظام غارق في العلمانية حتى الأذقان في تركيا، تستره شعارات يظن المخدوعون بها بأنها إسلامية أو من الإسلام، وما هي من الإسلام في شيء.

كانت البداية قبل ستة عشر عامًا، عندما اقتحم حزب العدالة والتنمية ذو التوجه الإسلامي المشهد السياسي في تركيا؛ على أثر الهزة الاقتصادية التي أحدثتها أميركا بسحب بليونات الدولارات من البنك المركزي التركي زمن « أجاويد» عميل بريطانيا في ٢٠٠١م؛ ما سبب أزمة تضخم خانقة أثارت ضجر أهل تركيا من الوضع الاقتصادي. وهذا عين ما أرادته أميركا، أن تحدث في البلاد هزة اقتصادية عارمة يعجز عملاء الإنجليز – أجاويد والعسكر – عن كبح جماحها، ومن ثم تُجرى انتخابات يدخلها حزب العدالة والتنمية ذو التوجه الإسلامي بقوة الشعارات الإسلامية القريبة من مشاعر المسلمين في تركيا؛ فيحظى بتأييد الأغلبية الكاسحة على حساب الكماليين الذين عاثوا في البلاد فسادًا وإفسادًا وتنكُّرًا لعقيدة المسلمين وثقافتهم وكل ما يذكرهم بأمجاد العثمانيين. فكان أن انتخب أهل تركيا الحزب الذي رأوا فيه مظنة الخلاص من قرف الكماليين. فهل وجد الفارُّون من جحيم أذناب مصطفى كمال وأوصيائه على العلمانية، هل وجدوا ما تاقت إليه نفوسهم عند أردوغان وحزبه الإسلامي؟

يجدر بنا بدايةً أن نُجَذِر حديثنا ونؤصِّله تأصيلًا يزيد الثابت ثباتًا، والجلي جلاءً، مع التأكيد على أن محاسبة الحكام واجب شرعي وحق سياسي للمسلمين أفرادًا وجماعات. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾. وهنا ثمة أسئلة تقدم نفسها بنفسها: هل وصل الإسلام أو بعض منه إلى الحكم بوصول أردوغان؟ وهل جعل أردوغان أصلًا الحكم بالإسلام كله أو أجزاء منه في برامجه السياسية،

سواء قبل وصوله إلى الحكم أو بعد وصوله؟ هل هناك تصريح واحد يلمِّح فيه أردوغان بأنه سيعمل ولو بعد مائة عام على تحكيم شرع الله كله أو بعضه؟ هل ناصر أردوغان قضايا المسلمين داخل تركيا وخارجها في بلاد المسلمين المنكوبة؟ هل ظهر منه تحرك حقيقي أو حتى تلميح بتحرك عسكري حقيقي تجاه يهود وأميركا وغيرهم من القوى الاستعمارية الكافرة المحتلة لأراضٍ إسلامية لطالما حماها سلاطين أرطغرل بالدماء والأشلاء؟ هذه أسئلة وغيرها كثير وكثير مما يمكن أن يثور في فكر المسلم المتحرق على حال أمته وما وصلت إليه من لأواء؛ أملًا في الخروج بالجواب الشافي الذي يقنع العقل وتطمئن به النفس، فيتغير ما بالنفوس استجابةً لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١] فالله سبحانه لا يغير حال المسلمين من الهزيمة إلى النصر، من الذل إلى العزة، من الاستضعاف إلى الاستخلاف... ما دام المسلمون متمسكين بالرويبضات العملاء، ظانين بهم الخير وما هم إلا شر مستطير، وبلاء استفحلت خلاياه السرطانية في جسد الأمة فخدَّره وأقعده عن النهوض قرنًا من الزمان. وما نظام الحكم في تركيا بقيادة أردوغان المراوغ إلا خلية علمانية خبيثة تُضاف إلى نظائرها من خلايا أنظمة الكفر المنتشرة في جسد الأمة. فلم يكن صعود حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم عام ٢٠٠٢م إلا قفزة أميركية تجاوزت بها عقودًا من الصراع المحموم مع الكماليين، سياسيين وعسكريين، حتى دان لها الأمر في البلاد باللعبة الديمقراطية على ظهر حزب رفع شعار الإسلام كذبًا وتضليلًا؛ فتحقق لأميركا هيمنتها على بلد عريق ظل محتضنًا للإسلام ودولة الإسلام على مدى أربعة قرون متصلة.

- جاء في جواب سؤال أصدره حزب التحرير بتاريخ ٢٢ من جُمادى الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧/٠٦/٠٨م: «لقد تبين لأميركا أن التصدي المباشر للجيش التركي أمر صعب، وإيجاد قوة موازية له أمر محفوف بالمخاطر، فرأت أسلوبًا آخر بأن تعمل على إقصاء الجيش عن طريق (الديمقراطية) بأن توصل أحد رجالها للحكم بأغلبية برلمانية بحيث يستطيع تشريع القوانين التي تحد من سلطة الجيش. وهكذا كان، فقد وقع اختيارها على أردوغان وعبد الله غول، وهما كانا قد أُخرِجا من حزب الفضيلة بعد حادثة ٢٨ شباط وبدءا العمل مع أوساطهم، وشكلوا حزب العدالة والتنمية برئاسة أردوغان، وهو يتمتع بصفات مشابهة لأوزال، فأردوغان صوفي الطريقة، وتظهر عليه المشاعر الإسلامية رغم أنه علماني، ومن رجال أميركا المخلصين لها، فقد سار معها منذ رئاسته لبلدية إستانبول. بعد ذلك بدأت تهيئة المسرح لوصول أردوغان، فقد قامت أميركا بسحب (٥-٧) بليون دولار من البنك المركزي التركي عام ٢٠٠١م، ذلك أن الامتيازات الاقتصادية التي وضعت أساساتها في فترة أوزال مكنت أميركا من القيام بهذه العملية بيسر وسهولة، فأوجدت هزةً اقتصاديةً، وبدأ تذمر الناس لأن القوة الشرائية لليرة انخفضت انخفاضًا شديدًا، وازدادت نقمة الناس على أجاويد وحكومته. وهكذا أعلنت انتخابات

مبكرة في ٢٠٠٢/١١/٣م، فاز فيها حزب العدالة والتنمية في الانتخابات فوزًا ساحقًا، وبخاصة وأنه كان في دعايته الانتخابية يمزج بين العلمانية وبين شيء قليل من مسحة إسلامية، ولكنها على قلتها كانت تجذب إليه أصوات عامة المسلمين لما لاقَوْه من عداء علمانيي الجيش والكماليين الاستفزازي للإسلام، وهكذا فاز وضَمِنَ الأغلبية البرلمانية، فشكَّل الحكومة وحده... ثم كانت الخطوة التالية بتوقيع وثيقة الرؤية المشتركة بين الحكومة التركية وحكومة الولايات المتحدة التي وقعها عبد الله غل مع كوندليزا رايس في ٢٠٠٦/٠٧/٠٥م، وقد جاءت خطوطها العريضة، كما ظهرت في البيان الصحفي الذي نشر في ٢٠٠٦/٠٧/٠٥م على الموقع الرسمي لوزارة الخارجية الأميركية، مبدوءةً بمقدمة جاء فيها «إننا مشتركون في القيم والأفكار المتعلقة بالأهداف الإقليمية والعالمية: تطور السلام، الديمقراطية، الحريات، الرفاه»، وبعد المقدمة ذكرت الخطوط العريضة، والتي منها: الولايات المتحدة وتركيا تتعهدان بالعمل سوية في كافة المسائل التالية: تطوير السلام والاستقرار من خلال الطريق الديمقراطي في الشرق الأوسط الموسع، دعم المساعي العالمية الرامية لإحلال حل دائم للصراع العربي-(الإسرائيلي)، والمساعي العالمية الرامية لإحلال حل دائم للصراع الفلسطيني-(الإسرائيلي) قائم على أساس الدولتين، رفع المستوى الأمني حول مصادر الطاقة من خلال تنويع المصادر والخطوط، بما فيها الخطوط القادمة من بحر قزوين، تقوية العلاقات مع منطقة المحيط الأطلسي (عبر المحيط الأطلسي) والتغيرات في حلف الناتو، محاربة الإرهاب وتوابعه، منع انتشار أسلحة الدمار الشامل، رفع مستوى التفاهم والاحترام والتقدير بين الأديان والثقافات وداخلها... انتهى بشيء من التصرف».

- هكذا استهلَّ أردوغان قيادته لبلد العثمانيين بارتباط استراتيجي بأميركا رأس الكفر وموضع عمود الرأسمالية، وهكذا استمر دون حيد قيد شعرة عن هذه الاستراتيجية منجزًا لأميركا مصالحها الحيوية في تركيا والشرق الأوسط. والأدهى من ذلك أن هذه الخدمة المجانية جاءت في وقت بدأت أمارات الوهن الفكري والسياسي تدبُّ في الدول الرأسمالية ومبدئها العفن. هذا من جانب، ومن جانب آخر حدث كل ذلك أيضًا في وقت بدأ فيه نجم الإسلام السياسي يتصاعد في بلاد المسلمين. أي أن الظروف أصبحت مواتية ومهيأة لأردوغان وغير أردوغان بأن يستجيبوا لله القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾. ولا تكون الاستجابة بطرح شعارات مغلفة بشيء من الإسلام من غير أن يكون للإسلام دين الله العظيم وجود عملي في واقع الحياة والدولة والمجتمع، وكأن الإسلام بات رَكوبةَ المتسلقين يمتطيها كل خوَّان أثيم، حتى إذا بلغ مبتغاه وجلس على كُرسيِّ الخيانة والتبعية للكافر المستعمر؛ نبذ كتاب الله وعقيدة الأمة وشريعتها وراء ظهره كأنه لم يتغنَّ بها بالأمس!

- وحتى تكون محاسبتنا السياسية لنظام الحكم في تركيا بقيادة أردوغان محاسبة شرعية

مستندة إلى أسس شرعية ترضي رب العزة سبحانه، ولو كره كل من باعوا عقولهم لهوى النفوس وتعلقها بأضغاث أحلام المتآمرين عليهم من حيث يدرون أو لا يدرون؛ نعرض هنا إلى الكيفية الشرعية التي وصل بها رسول الله – صلوات ربي وسلامه عليه – إلى الحكم عرضًا مُجملًا؛ لأن هذه الكيفية ملزمة للمسلمين حكامًا ومحكومين باعتبارها أحكامًا شرعية واجبة الاتباع دون تحايل على دلالاتها، وملزمة لكل حزب إسلامي يرفع أو يتبنى الإسلام صادقًا مع الله، لا يبتغي من ذلك إلا التمكين لدين الله في الأرض، والسيادة لشرعه على كل شرعة ومنهاج، والسلطان للمسلمين ولو كره كل الكافرين، ولو تكالب على المسلمين مَن بأقطارها. فقد حمل الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام في فترتين: الفترة المكية، وفيها كان حمل الإسلام حملًا فكريًّا سياسيًّا بحتًا بهدف تثبيت أفكار الإسلام في المجتمع على شكل مفاهيم ومقاييس وقناعات لدى القوى المؤثرة والمتحكمة في مفاصل التغيير في هذا المجتمع، فتتبنى هذه القوى الإسلام وتجعل السيادة له بدلًا من التحاكم إلى طاغوت الجاهلية وأصنام الضلال. ولما تغلفت قلوب المشركين في مكة بغلاف الكبر والعناد والإصرار على طاغوت الآباء والأجداد، وأُغلق المجتمع المكي أمام الدعوة الإسلامية؛ بحث النبي صلى الله عليه وسلم عن محضن آخر لدعوته، ومجتمع آخر يعتنقها ويحميها ويتبناها عمليًّا على شكل مفاهيم تحدد سلوك أبناء المجتمع، ومقاييس تضبط علاقات الناس بربهم وبأنفسهم وبغيرهم من بني البشر على أساس الحلال والحرام، وقناعات تصبح أفكار الإسلام بحسبها مُسلَّمات عند المسلمين. فكانت نُصرة الأنصار رضي الله عنهم في بيعة العقبة الثانية للإسلام بوابة السيادة لدين الله على كل شرعة ومنهاج يخالف الإسلام في فكرته وطريقته، أي في عقيدته وأحكامه، ومن شِعب العقبة الثانية – حيث كانت البيعة – انبثقت دولة الإسلام، وأرى رب العزة رسوله الكريم دار هجرته مقر دولة الإسلام المدينة المنورة، فكانت الهجرة وكان قيام الدولة الإسلامية، وكان بناء المجتمع الإسلامي. وبقيامها في المدينة المنورة دخل المسلمون في الفترة المدنية، فترة حمل الإسلام إلى الناس كافة؛ ولكن هذه المرة، لا بالاقتصار على قوة الإسلام الفكرية وحسب، ولكن مُضافًا إليها قوة الدولة وهيبة الحكم. وبالمجمل فإن الكيفية التي جرى بحسبها حمل الدعوة الإسلامية في الفترة المكية لإيجاد الكيان السياسي – الدولة الإسلامية – للمسلمين ، هذه الكيفية تعتبر طريقة الإسلام وخطابه المتعلق بأفعال الحزب السياسي الإسلامي الذي يرفع شعار الإسلام، وأعلن عن نفسه حزبًا إسلاميًا أخذ على عاتقه حمل الدعوة الإسلامية حملًا حقيقيًّا لإيصال أحكام الإسلام إلى سدة الحكم، لا ليرفع الإسلام لاستقطاب مشاعر المسلمين الذين علَّقوا عليه آمال الخلاص من ضنك العيش تحت وطأة أنظمة الملك الجبري، فيَصِل هو إلى الحكم، ولا يصل من الإسلام معه إلا ما سمحت به العلمانية اللادينية من حريات فردية للمسلمين وغير المسلمين.

- وعلى هذا يمكن أن نخرج بجملة من

الخطوط العريضة المستنبطة من طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في حمل الدعوة في الفترتين: المكية حيث العمل لإقامة الدولة، والمدنية حيث قيام الدولة وتطبيق الإسلام عمليًّا في المجتمع الإسلامي؛ فتكون هذه الخطوط أصلًا نبني عليه محاسبتنا السياسية للأحزاب السياسية العاملة للتغيير، ولأنظمة الحكم في بلاد المسلمين ومنها النظام الرئاسي التركي:

١- الإسلام عقيدة ومنهاج حياة، نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ليسود على كل عقيدة وتشريع. والمسلمون من بعد النبي – عليه الصلاة والسلام – مكلفون بتحقيق هذه السيادة.

٢- الإسلام والكفر ضدَّان لا يلتقيان، ولا مجال للجمع بينهما تحت أي ظرف. وهذا ينسحب على كل مبدأ أو فكرة تتناقض مع عقيدة التوحيد في كل زمان ومكان. فالوثنية والنصرانية واليهودية والرأسمالية والاشتراكية والوطنية والقومية... كلها كفر، أو من الكفر، والإسلام يتناقض معها كلها في عقيدته ونظامه.

٣- الدولة الإسلامية – دولة الخلافة – وجودها واستمرارها كيانًا سياسيًا للمسلمين كل المسلمين واجب شرعي يحرم تعطيله أو التهاون في تنفيذه، وضرورة بشرية ضامنة لتحقيق كرامة الإنسان على أساس تكريس عبودية البشر لله تعالى من خلال هذه الدولة.

٤- الصراع الفكري والمادي بين الإسلام والكفر سنة ثابتة باقية إلى قيام الساعة، ولا يمكن إخماد جذوة هذا الصراع. فإما أن تكون السيادة للإسلام، وإما أن تكون لغيره.

٥- الكفار من يهود ونصارى وهندوس وبوذيين، كلهم كفار يعادون الإسلام ويسعون من خلال دولهم الاستعمارية للقضاء عليه بكل الوسائل.

٦- طريقة وصول الإسلام إلى الحكم يجب أن تُؤخذ من الإسلام نفسه، وطريقة الانتخابات الديمقراطية طريقة محرمة لا يصل الإسلام من خلالها حتى وإن أوصلت الإسلاميين.

٧- يجب المباشرة في تطبيق أحكام الإسلام فور استلام الحكم بشكل انقلابي شامل، كاملًا غير منقوص، وتعطيل الشريعة أو تأخير العمل بها بحجة التدرُّج المزعوم جريمة كبرى وكبيرة سياسية تستحق غضب الله تعالى.

٨- المسلمون أمة واحدة من دون الناس، لا يجوز أن يفصل بينهم حدود سياسية على أسس وطنية أو عرقية أو طائفية. وضَمُّ بلاد المسلمين في وحدة سياسية واحدة تحت راية دولة الخلافة واجب وخلافه حرام.

٩- نُصرة المسلمين، كل المسلمين، واجب على المسلمين، وواجب على الحكام، وهي في حق الحكام آكد، والحاكم الذي يخذل المسلمين بعدم نصرتهم يُعتبر خائنًا لله ولرسوله وللمؤمنين.

١٠- موالاة الكفار وموادَّتهم والمشاركة في أحلافهم العسكرية، وتنفيذ خططهم السياسية، وتحقيق مصالحهم، والقيام بأي عمل يجعل لهم سبيلًا إلى بلاد المسلمين حرام وجريمة بحق الإسلام وأهله.

- بعد ذلك كله نعود ونقول: إن قيام حزب العدالة والتنمية لم يقم ابتداءً على فهم

صحيح للإسلام، ولم يكن تكتله تكتلًا طبيعيًّا بهدف إحداث تغيير جذري في تركيا يخرجها من ذُلِّ التبعية للكفار وعلمانيتهم، ويعيدها إلى حظيرة الإسلام وخلافته من جديد. فقيام حزب العدالة جاء نتيجة لظروف الصراع الدولي على تركيا بين أميركا وبريطانيا التي استعرت في حادثة ٢٨ / شباط / ١٩٩٧م؛ وتفصيل ذلك عندما أنشأ (أوزال رجل أميركا) حزب الوطن الأم في الثمانينات من القرن الماضي، وبدا لعملاء الإنجليز في الجيش خطورة هذا الحزب الذي أخذ يظهر تعاطفه مع المسلمين، فكان أن أوصلت بريطانيا (مسعود يلماز) إلى رئاسة حزب الوطن الأم، وأخرجوا رجال أوزال من الحزب، فضمن الكماليون ولاء الحزب لعلمانيتهم على طريقة المجرم مصطفى كمال. وفي المقابل انضمت العناصر التي تم طردها من حزب الوطن الأم، لولائهم لأوزال وأميركا، انضموا إلى حزب الرفاه؛ لميولهم الإسلامية، وأصبح لهم تأثير قوي في حزب أربكان، ورجحت كفة أميركا فيه رغم أن أربكان كان أقرب إلى رجال الإنجليز؛ وهذا ما جعل حكومة الائتلاف في التسعينات - من حزب الطريق القويم (تشيلر) الموالي لأميركا، وحزب الرفاه (أربكان) الذي تأثر بدخول عناصر أوزال إليه - تبدو وكأنها تُسيَّر من أميركا، فخشي الجيش على عودة أميركا إلى الإمساك بالسلطة كما كانت في عهد أوزال؛ لذلك تدخل الجيش وأنهى حكومة الائتلاف واستولى على السلطة. وكان ذلك في ٢٨ شباط ١٩٩٧م، ودخلت هذه الحادثة التاريخ باسم حركة ٢٨ شباط. بعد ذلك عمد رجال الإنجليز إلى حزب الرفاه فحلُّوه، وأُعيد تشكيله باسم حزب الفضيلة بعد أن أُخرج منه كل جماعة أميركا، سواء الذين انضموا إليه من حزب أوزال أم الذين كانوا أصلًا فيه ولكنهم ساروا مع أميركا مثل عبد الله غل وأردوغان اللذين بدءا بتشكيل حزب العدالة والتنمية مدعومين من أميركا إلى أن انتهى المطاف بأردوغان وعبد الله غول وحزب العدالة إلى الوصول إلى الحكم بعد الانتخابات التي أشرنا إليها سابقًا عام ٢٠٠٢م.

- فحزب العدالة لم يخض غمار العمل السياسي على أساس الإسلام ابتداءً، ولم يتبنَّ الإسلام بفهم شمولي، أي أنه لم يحمل الدعوة الإسلامية بهدف إيصال الإسلام إلى سدة الحكم على غرار ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في الفترة المكية من حمل للدعوة حملًا سياسيًّا منضبطًا بطريقة شرعية محددة في السير تنتهي بقيام كيان سياسي إسلامي – دولة إسلامية – وهذه مصيبة العاملين على الساحة الإسلامية من الحركات الإسلامية، يطرحون الإسلام طرحًا عامًّا غير مبلور، فيأخذهم الهوس بعيدًا عن العمل المركز والمنضبط بأحكام الإسلام؛ والنتيجة المرة التي ما بعدها مرارة، يصل الإسلاميون بأشخاصهم إلى الحكم، ولا يصل معهم من الإسلام شيء! هذا بالنسبة لحزب العدالة والتنمية ومخالفته لطريقة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في التغيير، وأن هذه المخالفة إن كانت أوصلت الحزب إلى الحكم، لكنها لم توصل الإسلام، ولا حتى بعضًا منه إلى الحكم، شاء المُكابرون أم أَبَوا. أما بالنسبة لأردوغان بعد وصوله إلى سدة الحكم، فقد

أصبح حاكمًا تجري عليه أحكام الإسلام بوصفه حاكمًا مُكلفًا بتطبيق الإسلام وإلا كان كافرًا أو ظالما أو فاسقًا. ولست هنا في معرض تكفير أردوغان أو حتى الخوض في هذا المجال أصلًا، فليس هذا محله، بل محله القضاء الإسلامي في دولة الخلافة القادمة قريبًا بإذن الله، هناك سوف تجري أحكام الله على كل من تعدى على الإسلام والمسلمين وتآمر عليهم كُلٌّ حسب جريرته. والذي يعنيني بالدرجة الأولى هنا تكفير نظام أردوغان السياسي، فهو نظام كفر قولًا واحدًا، فلا النظام البرلماني الذي ورثته تركيا عبر الكماليين عن الإنجليز بعد هدم الخلافة نظام حكم إسلامي، وفيه ينتخب البرلمان رئيس الجمهورية وتكون الصلاحيات كلها أو معظمها لرئيس الوزراء. ولا النظام الرئاسي الذي صدَّرته أميركا هذه المرة لتركيا نظام إسلامي، وفيه ينتخب عامة الشعب الرئيس وتكون له الصلاحيات الكاملة. فأميركا عندما وجدت أن النظام البرلماني يُكرِّس النفوذ الإنجليزي على تركيا؛ حيث رئيس الوزراء أُلعوبة بيد العسكر الذين حرسوا العلمانية على طريقة مصطفى كمال المجرم. عندها أرادت أن تقبض هي على البلاد، ولا يكون ذلك إلا بقصقصةِ أجنحة عملاء الإنجليز والحدِّ من نفوذهم وتأثيرهم في الحكم، فكان النظام الرئاسي ممثلًا بأردوغان حصانها ورَكوبَتها للعبور إلى بلد العثمانيين من أوسع أبوابه؛ لذلك يجب على المسلمين - وفي مقدمتهم المضبوعون بأردوغان - يجب عليهم أن يدركوا أن نظام أردوغان الجمهوري نظام كفر ليس من الإسلام، لا في شكله ولا في الأصل الذي بُني عليه، وأن كونه نظامَ كفر يقضي بوجوب محاسبته محاسبة سياسية قائمة على أساس وجوب نُصح الحكام وتحذيرهم من الكفر والحكم بالكفر، ومن الانقياد للدول الكافرة، وأن ذلك كله حرام وجريمة بحق الإسلام وخيانة لله ولرسوله وللمسلمين. فإن استجاب أردوغان للنصيحة، فقد أحسن إذ أقلع عن الحرام وأذهب سيئاته بحسنة الرجوع إلى الهدى وجادة الصواب. أما إذا أَصَرَّ على ما هو عليه من تحاكم إلى الطاغوت وقد أُمِرَ أن يكفر به، وارتباط وتبعية للغرب الكافر، وخذلان للمسلمين المستصرخين بملء أفواه الصبايا واليتامى والأرامل والمنكوبين في فلسطين والشام والعراق وبورما والقائمة تطول؛ فقد لزم حينئذ تقريعه بالغليظ من القول، وعدم التهاون في فضحه وكشف ارتباطه بالدول الكافرة. وليعلم (المضبوعون بأردوغان) أنه لا مقدس في هذا الوجود إلا الله، وأن ما دون الله سبحانه بشر جَرَوا في مجرى البولِ مَرَّتَين، وأُذكِّر من كان أهلًا للذكرى، أن بيت النبوة وما أدراك ما بيت النبوة؟ لم يرتفع على جلالة قدره عن مفهوم المحاسبة والخضوع لأوامر الله تعالى. اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾. فهل كان أردوغان وغير أردوغان أكرم منزلة وأعلى قدرًا من بيت النبوة، ما لكم كيف تحكمون؟

- وتبقى هنا مسألة بحاجة إلى بيان، يقول المـُعذِّرونَ من الذين يختلقون المعاذير والحجج

الواهية لأردوغان: إن أردوغان لم يتمكَّن بعد من مفاصل الحكم في البلاد، وأمامه عقبات، وله أعداء ومناوئون، ويتربَّص به خصوم كثيرون، وهناك دول كبرى عندها من القوة ما عندها، وأخرى تابعة لتلك تُسخرها لوأد أي محاولة أو ململة تومِئُ بتغيير حال المسلمين ولو إيماءً. وردًّا على ذلك نقول: هذا صحيح وصحيح جدًّا، لكن هل غاب عن فكر هؤلاء أن الدعوات الصادقة ابتداء لا تبلغ غايتها بالنصر والظفر إلا بعد أن تخوض المخاض العسير مع الباطل، وهل بنى نوحٌ – عليه السلام – سفينته إلا في صحراء مقفرة يأبى العقل والمنطق لهذه السفينة أن تبحر في يوم من الأيام على رمال الصحراء؟ ولكنها أبحرت في نهاية المطاف، وحملتها أمواج كالجبال بعد أن حملت عليها المؤمنين فنجَوا وغرق الكافرون، ثم استوت واستقرَّت بإذن الله بما عليها على الجوديِّ.قال الله المنتقم الجبار: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾. إن سنة الله تعالى في كل دعوة صادقة تقضي بوجوب مجابهة الحق للباطل مجابهة فكرية ودموية، فيبتلي الله المؤمنين والعاملين الصادقين بالبأساء والضرَّاءِ؛ فيبلغ الأمر مبلغ زلزلة المؤمنين حتى لا يبقى في صفِّهم إلا المؤمن الصادق، والثابت على مبدئه فلا يغير ولا يبدل ولا يرعوي للباطل وأهله؛ هنالك يستحق المؤمنون نصر الله تعالى وتمكينه.

- لقد واجه الرسول صلى الله عليه وسلم من العقبات الكثير الكثير، فقُتل من أصحابه – رضوان الله عليهم – من قُتل، وعُذِّب من عُذِّب، وشُرِّد من شُرِّد؛ فكان سلا الجزور، وكانت المحاصرة في شعب أبي طالب، وكان التنكيل وكانت الملاحقة، وكانت الدعايات الإعلامية الكاذبة، وكان اللجوء السياسي عند ملك الحبشة فرارًا من الظلم والاضطهاد، وغير ذلك كثير. وبعد استلام الحكم في المدينة المنورة وقيام الدولة، ظلت العقبات والتحديات تحيط بالدولة عن يمينها وشمالها، ومن خلفها وقدامها، بل ومن داخلها حيث قامت الدولة في مجتمع ثلثه من المشركين تحول معظمهم بعد ذلك إلى منافقين يظهرون الإسلام ويُبطنون عداوته، وثلثه الآخر من اليهود أعداء الملة الذين كانوا يحيطون بالمدينة بحصونهم وقلاعهم وسيطرتهم على السوق والموارد الاقتصادية والبنى التحتية، وثلثه الآخر من المسلمين، منهم المهاجرون حملة الفكرة والواعون عليها، وأكثرهم من الأنصار أهل القوة والمنعة الذين لم يمضِ على إسلامهم إلا سنة قبل الهجرة، لا يعرفون من الإسلام إلا فكرته الأساسية (لا إله إلا الله محمد رسول الله). ثم هناك العقبات الخارجية، قبائل العرب المشركة بزعامة قريش يتربصون جميعًا بالدولة الإسلامية الناشئة. وهناك الروم والفرس دول كبرى تأبى أن ينازعها على السيادة الدولية قوة تُطلُّ عليهم من وسط جزيرة العرب التي لم تكن في حساباتهم إلا مساحة مسحوقة من القبائل المتناحرة، فكيف إذا كانت هذه القوة دولة مبدئية عالمية، رسالتها حمل الإسلام إلى العالم بالدعوة والجهاد؟

- وبعد وفاة النبي – عليه الصلاة والسلام– اضطربت أحوال الدولة الإسلامية الداخلية، حيث الردة التي اجتاحت جزيرة العرب تحت لواء مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي وطليحة بن خويلد الأسدي، ولم يثبت على الإسلام إلا المدينة المنورة والطائف ومكة المكرمة وقرية جواثى في البحرين. فكانت وثبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وثبة الأسد الهصور، فأنفذ بعث أسامة بن زيد إلى بلاد الروم فقاتلهم وقَفِلَ ظافرًا، وحارب المرتدين ومانعي الزكاة في حروب ضارية استُشهد فيها الكثير من الصحابة ومن حفظة القرآن الكريم. وبالجملة فقد واجه أبو بكر التحديات الداخلية والخارجية بعزيمة القائد المؤمن الواثق بتأييد الله له، وبحزم السياسي المحنك القادر على الخروج من الأزمات بسلامة الدين وأمان المسلمين؛ وهكذا واجهت دولة الخلافة الراشدة الأولى العقبات الداخلية والخارجية في آن واحد، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: «واللَّهِ الذي لا إِلَهَ إلا هو، لولا أنَّ أبا بَكرٍ استُخلِفَ ما عُبِدَ الله». وحرِيٌّ بكل مسلم غيور صادق مع الله، مخلص لأمته، حريٌّ به أن يسير في الأرض، فينظر كيف جدد عبد الرحمن الداخل الإسلام في الأندلس بعد أن ساءت أحوال المسلمين فيه إلى حد ينذر بزواله، وكيف أعاد آل زنكي وصلاح الدين وحدة الأمة بعد اضطراب أحوال المسلمين أيام الحروب الصليبية، وكيف استطاع محمود بن ممدود سيف الدين قطز من مصر الكنانة وحدها، كيف استطاع مجابهة التتار والنصر عليهم خلال ١١ شهرًا فقط، وبقية الحكاية تجدونها في كتب التاريخ عند ابن الأثير وابن كثير وغيرهم. إذًا فوجود العقبات لا يجوز أن يتخذه المرجفون والمعوِّقون والمُعذِّرون مانعًا أو حائلًا من عودة الإسلام وإمكانية تطبيقه في دولة إسلامية من جديد. على أن الإسلام نفسه قد وضع معالجات وأحكامًا شرعيةً مفصلة في كتب الفقه لمواجهة هذه العقبات واجتياز تلك التحديات مهما تعاظم خطرها على المسلمين. وهل يمكن أصلًا ألَّا يكون في الإسلام مثل هذه الأحكام، وهو الذي أحاط بكل أفعال العباد، واشتمل على المعالجات الضامنة للخروج من كل أزمة يمكن أن تعصف بالأمة الإسلامية؟ والغريب العجيب أننا نجد أردوغان متفانيًا في مواجهة خصومه من سياسيين وعسكريين، وتحديدًا منذ حادثة الانقلاب الفاشلة الأخيرة في ٧/١٥ /٢٠١٦م، ويظهر براعة في كبح جماح خصومه واضطرارهم إلى أضيق المواقف. فلماذا لا يستخدم أردوغان هذه البراعة لإعادة الإسلام مطبقًا في دولة الخلافة؟ وعندها سيجد أهل تركيا خلفه صفوفًا يقدمون فلذات الأكباد في سبيل الله، بل وسيجد أمة تتوق لصيحة قائد رباني يخرج بها من حقبة المُلك الجبري إلى فجر الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة. ولو خُيِّرَ أهل تركيا بين العلمانية بنسختيها الإنجليزية الكمالية والأميركية الأردوغانية، وبين عبدٍ حبشيٍّ رأسه كالزبيبة يحكمهم بشرع الله، لنبذوا أردوغان ومن خلفه الكماليين وراء ظهورهم، واختاروا بيعة العبد الحبشيِّ على هؤلاء جميعًا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.■

الأمن الغذائي في ظل دولة الخلافة

علي القاضي - اليمن

يعتبر الغذاء من الحاجات الأساسية للإنسان لضمان بقائه على قيد الحياة وقدرته على القيام بأعباء الحياة، ولقد كان الغذاء أحد أسباب نشوء الصراعات بين الدول. وقامت الحروب والنزاعات من أجله، فالإنسان يحتاج يوميًا كمية من الغذاء توفر له استمرار العيش، فمن تمكن من توفير غذائه وأمنه وعافيته فكأنما ملك الدنيا وما فيها؛ وذلك مصداقًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**» أخرجه الترمذي.

فالأمن الغذائي مرهون بمقدرة الدولة على تحقيق ما يكفي أو يزيد من الإنتاج الزراعي لكافة رعاياها، بحيث لا تكون معتمدة على الغذاء الوافد من الدول الأخرى؛ لأن عجز الدول عن توفير الغذاء لرعاياها سوف يجعل الدولة مرهونة لغيرها، وبالتالي سوف يقوم الغير في التحكم بإدارتها.

لما رأى المفكرون في الغرب في بدايات القرن العشرين أن أعداد الناس تتزايد بالمليارات، تنبَّأ بعضهم بأن العالم سيعجز عن توفير الغذاء لهذه الأعداد المتزايدة، وفي عام ١٩٦٨م، كتب العالم البيولوجي المعروف (بول أيرلخ) في كتابه الشهير (القنبلة السكانية) ما نصه: «لقد انتهت معركة توفير الغذاء للجميع بالفشل التام، وسيعاني العالم في السبعينات من هذا القرن (العشرين) من المجاعات وموت الملايين من البشر جوعًا»، وخاب ما تنبأ به، ولكن مشكلة توفير الغذاء في ظل تحكم النظام الرأسمالي بالعالم اليوم قائمة، والأصعب توفير الغذاء في حالات الحروب أو الكوارث الطبيعية، كالجفاف والزلازل والبراكين والأمراض الوبائية، وخصوصًا في البلاد التي يسمونها دول العالم الثالث، والتي تتصارع عليها الدول الرأسمالية الكبرى. فبالرغم من غنى دول العالم الثالث، إلا أن ثروتها أصبحت وبالًا عليها؛ بسبب عمالة حكامها وتصارع الدول الكبرى عليها؛ **ومن هنا ظهر مصطلح الأمن الغذائي، في ظل الحضارة الرأسمالية التي تتحكم بالبشر اليوم.**

ماذا يعني الأمن الغذائي؟ ووجهة نظر الإسلام فيه:

لا يخفى على أحد خطورة عدم توفير لقمة العيش للناس في الظروف العادية، فكيف تكون الحال في ظل حضارة رأسمالية جشعة تتحكم بالعالم، ويأكل فيها القوي الضعيف؛ فأفرزت مشاكل وظروف أوجدت المجاعة والفاقة، مثل الحصار لبعض الدول، وإشعال الحروب في أخرى، فكم من دول انهارت نتيجة نقص الغذاء والماء، وكم من دولة سلمت مقدراتها وخيراتها لغيرها من أجل الحصول على رغيف الخبز، فالأمر جد خطير، وناقوس الخطر يدق محذرًا من المخاطر الكثيرة والكبيرة. **فالأمن**

الغذائي: هو قدرة دولة ما على توفير الحاجات الأساسية من الغذاء والماء لأبنائها، وفي كافة الظروف العادية وغير العادية كالحروب والحصار والجفاف.

إن التنبؤ بأزمة عالمية في الغذاء قد كذبها الإسلام، والله سبحانه وتعالى قد بيَّن في كتابه العزيز أنه قدر في هذه الحياة أقواتها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾، فالغذاء موجود، وهو بحاجة إلى تشجيع الإنتاج وإلى التوزيع العادل. والقول إن ازدياد عدد الناس، وقلة الماء، وقلة الأرض الزراعية سبب في موت الناس جوعًا لا أساس له من الصحة، فقد تحدث المجاعة في أماكن قليلة السكان ولا تحدث في مناطق كثيرة السكان، فالصين لا تعاني مشكلة في الغذاء وفيها أكثر من مليار نسمة، ودول أفريقيا تعيش على أنهار وهي قليلة العدد، ومع ذلك أبناؤها يعيشون مجاعة دائمة.

ومع أن سكان العالم قد تضاعفوا منذ الحرب العالمية الثانية إلى اليوم، إلا أن إنتاج الغذاء قد تضاعف [ثلاث مرات] في الفترة نفسها. وهذا مطمئن، وبالتالي يرى بعض العلماء أن كوكب الأرض يستطيع إطعام ٤٧ بليون نسمة، بالمستويات الممتازة الموجودة في الولايات المتحدة الأميركية، و١٥٧ بليون نسمة، بمستويات التغذية في اليابان، ويرى علماء آخرون أن الأراضي الزراعية لو أحسن استغلالها لأطعمت عشرة أضعاف عدد سكان العالم حاليًا (٧ بليون نسمة)، وبمستوى استهلاكي مرتفع. وذهب علماء آخرون إلى مدى أبعد من كل ما سبق، حين قدروا أن كوكب الأرض يطعم ١٣٢٠٠٠ بليون نسمة، وهو رقم كبير جدًا أشبه بالخيال، ذلك أن الإنسان لم يكتشف ولم يستثمر من طاقة الكون والطبيعة اللذين يعيش في كنفهما سوى ١٪ حتى الآن، رغم ثورات العلوم وقفزاتها الكبرى في القرن العشرين.

كيف عالج الإسلام نقص الغذاء إن وجد:

إن توفير الغذاء مسؤولية عظيمة، والإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، ومن رعايته توفير الأقوات للناس، حتى لا يجوعوا أولًا، وحتى تبقى الأسواق عامرة بالمواد الغذائية فتستقر الأسعار، ويقطع دابر المحتكرين. وخاصة الاحتكار العالمي الذي تقوم به حفنة من الرأسماليين، ومن باب الرعاية أن يحسب الإمام حسابًا لأوقات الحروب والقحط والكوارث الجسام، حيث تقل الزراعة، وتضعف إمكانية نقل المواد، وبما أن حفظ النفس واجب فإن توفير الغذاء واجب؛ لأن القاعدة الشرعية تقول: **(ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).**

وقد اهتم الإسلام بالزراعة والتي تشكل عصب الغذاء الرئيسي، فهي تشكل المصدر الأول في الاقتصاد، إضافة إلى الصناعة والتجارة وجهد الإنسان؛ لأنه من خلالها يمكن توفير الغذاء لكافة رعايا الدول، فالأرض أساس الزراعة، والأرض يعتبر الإنتاج جزءًا من طبيعة تكوينها، كما أن إنبات الشعر وإنبات الأسنان جزء من طبيعة تكوين الإنسان، فالأرض الزراعية جزء من طبيعة تكوينها الإنبات، ولو لم يقم بزراعتها أحد. وبلاد

المسلمين مليئة بأجود أنواع الخيرات والموارد الزراعية التي تمكنها من تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء، ليس فقط لرعاياها، بل بمقدرتها تغطية العالم أجمع من الموارد الغذائية.

فإذا نظرنا إلى المنطقة العربية- والتي تمثل جزءًا مهمًا من بلاد المسلمين، وعليها سيتم تركيز هذا البحث، لتوفر الإحصائيات والأرقام حولها، وليس من أجل التمييز، مع أن هناك خيرات وموارد وثروات موجودة في بلاد المسلمين الأخرى كإندونيسيا وتركيا وباكستان وأوزبكستان وغيرها... وانما على سبيل المثال فقط.

فالبلاد العربية المحصورة في تلك البقعة من الأرض، والتي يسكنها ما يقارب ٣٢٣ مليون نسمة، والذين يسكنون على مساحة تبلغ حوالى ١٤ مليون كم مربع، قد وصلت إلى مرحلة حرجة في تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء مما جعلهم يستوردون ما يكفيهم من الدول الخارجية الكبرى، حيث بلغت الفجوة الغذائية حتى سنة ٢٠٠٦م ٢١ مليار دولار، وهي بازدياد مستمر (حسب المنظمة العربية للتنمية الزراعية) وهذا الأمر سيبقي تلك البلاد تحت سيطرة تلك الدول الكافرة، وهذا من الانتحار السياسي، وهو جعل قوْتك يتحكم فيه عدوك.

إن السبب الرئيس في عدم مقدرة الدويلات القائمة في المنطقة العربية الآن على الاكتفاء الذاتي ليس هو نقص في الموارد والثروات ففيها:

الأراضي الصالحة للزراعة

المياه

القوى البشرية

الموارد المالية

ولكن السبب الرئيس هو تبعية هذه الدول في كل صغيرة وكبيرة للدول الكافرة، وبطبيعة الحال غياب دولة الإسلام، وغياب خليفة المسلمين الذي يرعانا ويحقق لنا الأمن في كافة جوانب الحياة، ويعلن البراءة من الدول الكافرة الكبرى، ويعلن الولاء لله سبحانه وتعالى وحده.

فخليفتنا القادم قريبًا بإذن الله سيتخذ قرارات مصيرية لتحقيق الأمن لرعيته، ومنه الأمن الغذائي، وذلك لكي لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلًا، فلا يجعلهم يتحكمون في مقدرات الدولة الإسلامية القادمة، وفي سياستها وإداراتها كما هو حاصل الآن، وهذا هو الخطر العظيم على أمن المسلمين وكيانهم.

الأراضي الصالحة للزراعة:

١- تعتبر الأراضي الزراعية من أهم عناصر الأمن الغذائي التي يمكن الاعتماد عليها في تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء، وقد حثَّ الإسلام على الزراعة والاهتمام بالأراضي الزراعية؛ لذلك كانت السياسة الزراعية في الإسلام تقوم على أمر واحد مهم، ألا وهو زيادة الإنتاج الزراعي، وكانت تتبع طريقين في ذلك:

التعميق في زيادة إنتاج الأرض، وهذا يحصل باستعمال المواد الكيماوية وانتشار الأساليب الحديثة بين المزارعين، والعناية بتوفير البذار وتحسينها، وتعطي الدولة المال اللازم للعاجزين، هبة وليس قرضًا؛ من أجل شراء ما

يلزمهم من الآلات والبذار والمواد الكيماوية؛ لزيادة الإنتاج والعناية بالمرافق التي تساعد على هذا الازدياد.

التوسيع في زيادة المساحات التي تزرع، وذلك يحصل بتشجيع إحياء الأرض الموات وتحجيرها، وكما قال صلى الله عليه وسلم : «**من أحيا أرضًا ميتة فهي له**» أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد ومالك من طرق عدة. وتعمل الدولة على إقطاع الأراضي من ملكيتها للقادرين على الزراعة لمن لا يملك أرضًا أو يملك مساحات قليلة، وتأخذ الدولة الأرض جبرًا من كل من يهملها ثلاث سنوات متتالية.

ومن الأمثلة على ذلك، فقد استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال المزني أراضي ما بين البحر والصخر، وهناك أمثلة أخرى من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء من بعده على ذلك. بهذين الطريقين يمكن زيادة الإنتاج الزراعي، وهذه الزيادة يجب أن تكون في أربعة أمور:

زيادة الإنتاج في المواد الغذائية لكي تطعم المزيد من السكان، ولإبعادهم عن خطر المجاعة، وتكون مهيَّأة لأي طارئ.

زيادة الإنتاج من المواد اللازمة للكساء كالقطن والحرير والصوف، وهذه من الحاجيات الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها.

زيادة الإنتاج في المواد التي لها أسواق في خارج البلاد، سواء من المواد الغذائية كالحبوب أم من مواد الكساء كالقطن والحرير.

العمل على رفع العراقيل أمام المواد المهمة لتسهيل زيادتها وجلبها إلى الدولة، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه أبو عبيد «كان عمر يأخذ من النبط من الزيت والحنطة نصف العشر، لكي يكثر الحمل إلى المدينة، أي لكي يرغب في جلب الزيت والقمح إلى المدينة وكان يأخذ من القطنية العشر».

ذكر تقرير لقناة الجزيرة في ٢٣-٤-٢٠١٤م أن المنطقة العربية تبلغ مساحة الأرض الصالحة للزراعية فيها ١٩٧ مليون هكتار، وحاليًا يزرع ٨٠ مليون هكتار فقط أي قرابة ٤٠٪، ويمثل ٢٣٪ من الإنتاج محاصيل موسمية و٤,٩٪ محاصيل مستديمة، أما العاملون في الزراعة فيمثلون ٢٣٪ من إجمالي القوى العاملة في المنطقة العربية، والعدد في انخفاض مستمر بسبب الهجرة من الريف الي المدينة.

وتطل المنطقة العربية على البحار والمحيطات التي تؤمن لها ما تحتاجه من الأسماك.

وكما تتطلب الزراعة أراضٍ لزراعتها، كذلك لا بد من توفر موارد عدة لكي تتم الزراعة وزيادة الإنتاج ومن هذه الموارد:

٢- الموارد المائية:

يعتبر الماء من مقومات الحياة الأساسية وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم «**الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار**». فالماء مرتبط ارتباطًا حتميًا مع الأمن الغذائي، فمتى وجد الأمن المائي وجد الأمن الغذائي؛ لأن الزراعة لا تتم إلا بوجود الماء، ولذلك كان الماء أحد أسباب نشوء الحروب والنزاعات بين

الدول. فالبلاد الإسلامية، والحمد لله، محاطة بكميات مائية كبيرة، فهي تشرف على ممرات استراتيجية مهمة جدًا، فبلادنا الإسلامية تشرف على كثير من البحار والمحيطات، وهذه تعتبر مياهًا غير محدودة، ويوجد في بلادنا أيضًا أنهار من أشهر أنهار العالم داخل بلاد المسلمين، مثل نهر النيل ودجلة والفرات وغيرها ... وهذه وحدها فقط توفر ما يزيد على ١٥٠ مليار متر مكعب من الماء، بالإضافة إلى كمية المياه الجوفية الموجودة تحت الأرض والتي تقدر بـ ٧٧٣٤ مليار متر مكعب.

وهناك موارد كثيرة للمياه توفر ما يكفي لسكان الأرض جميعهم، ومع وفرة هذه المياه يمكن زراعة الأراضي الصالحة للزراعة، واستصلاح أراضٍ أخرى موجودة في بلاد المسلمين، وإحياؤها لكي تصبح صالحة للزراعة. ورغم كثرة المياه الموجودة في بلاد المسلمين، فما على الدولة إلا أن تعمل على ترشيد الرعية على استخدام المياه ومنعها من الهدر والضياع، وتقوم بإقامة السدود والآبار الارتوازية الضرورية لذلك، والتي لا يمكن الاستغناء عنها.

٣- **الموارد البشرية:**

إن عملية استصلاح الأراضي وزراعتها وإحياءها لا يحتاج فقط إلى ماء، بل يحتاج إلى جهود بشرية، أي إلى مزارعين، لكي يقوموا بهذه المهمة، وهذه الموارد موجودة وبكثرة، ففي المنطقة العربية وأكثر من ٤٨ مليون شخص في بلاد المسلمين يعملون في الزراعة، وليس هذا فحسب، بل يمكن القضاء على الفقر من خلال تشغيل الفقراء القادرين على العمل حيث تستغل الدولة الأراضي الميتة وتقطعها إلى الفقراء لكي يحيوها ويزرعوها.

الموارد المالية:

إن زراعة الأراضي واستصلاحها وإحياءها يحتاج إلى أموال كثيرة، وهذه الأموال موجودة بكثرة في عالمنا الإسلامي، وأول هذه الثروات هي النفط، فمثلًا: (نشرت مجلة الوعي في عددها ٢٣٣: جاء في الفيلم الوثائقي فهرنهايت ١١ أن أميركا قد استفادت من نفط السعودية فقط ما قيمته ٨٦ تريليون دولار، يعني أننا لو قسمنا هذا المبلغ على جميع المسلمين في العالم لكانت حصة كل واحد منهم، رضيعهم وشيخهم، ذكرهم وأنثاهم، حوالى ٦٦ ألف دولار، وهذه الأموال تستفيد منها أميركا على حساب الأمة الإسلامية) إضافة إلى الغاز والثروات المعدنية، وليس هذا هو المصدر الوحيد، بل يمكن استغلال الممرات الاستراتيجية المهمة الموجودة في بلادنا.

وبالإضافة لاستغلال الأراضي الزراعية استغلالًا تستخدم فيه كافة الأساليب والوسائل العلمية الحديثة، فيمكن التركيز على المواد الأساسية في الإنتاج الزراعي كالقمح والزيوت النباتية واللحوم والحليب ومشتقاته والسمك والبيض...

وكما يمكن تخزين هذه الأغذية فترة طويلة، أي لسنين، كتخزين القمح في سنبله أو حبًا، ومجفف التمر والتين والعنب والزيوت، واللحوم المجففة والمعلبة، والحليب المجفف... ويفضل تخزين المواد الغذائية التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله.

هذا من ناحية دور الدولة في التخزين، أما الأفراد فيُحثَّون على تخزين المواد الغذائية في بيوتهم، والتي يحتفظ بها لفترة طويلة كالقمح والزيوت وما يجفف من الثمار واللبن. جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يجوع أهل بيت عندهم التمر**»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا عائشة، بيت لا تمر فيه جياع أهله، أو جاع أهله**». وقد ثبت أن المسلمين كانوا يدخرون التمر في زمن الرسول، وإباحة بيع العرايا خير شاهد على ذلك. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، لِيَتَّسِعَ ذو الطَّوْلِ على من لا طَوْلَ له، فكلوا ما بدا لكم، وأطعموا، وادخروا**» الترمذي. وقال عليه الصلاة والسلام: «**رحم الله امرأ اكتسب طيبًا، وأنفق قصدًا، وقدم فضلًا ليوم فقره وحاجته**».

ولادخار المواد الغذائية ضوابط شرعية لا بد من مراعاتها:

أ) أن لا يؤدي ادخار الأفراد إلى احتكار السلع، وسحبها من الأسواق، وبالتالي ترتفع أسعارها في الأسواق. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**كل محتكر خاطِئ**»، وقال: «**من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم، فإن حقًّا على الله أن يقعده بعُظم من النار يوم القيامة**».

ب) أن لا يكون للناس حاجة فيما يدَّخر، فلا يدَّخر الطعام والناس جياع. فادِّخار الطعام يجب أن يكون من فائض الإنتاج. عن خيثمة قال: كنا جلوسًا مع عبد الله بن عمرو إذ جاءه قهرمان له (الخازن بالفارسية) فدخل، فقال: «**أعطيتَ الرقيق قوتهم؟**» قال: لا، قال: فانطلق فأعطهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته**».

كما إن الأصل في ما يأكله المسلم في كل الأوقات أن يكون قليلًا، فالمسلم يأكل ليعيش لا العكس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمسلم يأكل في معي واحد رواه مسلم**». والمعنى فيه حض للمؤمنين على قلة الأكل، والكفار صفتهم كثرة الأكل كما وصفهم الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ وكما جاء عن طريق أبي هريرة أنه قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة, وطعام الأربعة يكفي الثمانية**» متفق عليه.

وكذلك التوزيع العادل للطعام، كمًا ونوعًا، ودليله:

أ- الأحكام التي منعت أن يكون المال دُولة بين الأغنياء، قال تعالى: ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾

ب- وجوب الإطعام على المسلمين لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم به**» ولقوله: «**أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله**».

أما دول الضرار التي ابتلي بها المسلمون اليوم، فإنها لا تعطي مسألة توفير الغذاء قيمة؛

لأنها أصلًا لا تعطي الإنسان ذاته قيمة، فالسودان مثلا يجوع سكانه، مع أن قيمة الحليب المراق على الأرض يقدر بسبعمائة مليون دولار سنويًا (تقرير الجزيرة ٢٠٠٨/٦/١٦م). فكيف يجوع بلد فيه ٣٥ مليون رأس بقر، بحسب إحصائية منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة لعام ١٩٩٨م. وفيه ١٢٦ مليون رأس من الثروة الحيوانية، ولا نجد لها أثرًا لا في غذاء أهل السودان، ولا في تصدير اللحم أو الحليب ومشتقاته أو الجلود.

ومنذ ما يزيد عن أربع وأربعين سنة في عام ١٩٧٤م والفاو (منظمة الأغذية والزراعة تابعة للأمم المتحدة تأسست عام ١٩٤٥م في كندا، مقرها الرئيسي إيطاليا) ترشح السودان مع كندا وأوستراليا لتكون سلة غذاء العالم؛ لأنه يملك مئتي مليون فدان من أخصب الأراضي الزراعية في العالم، وثروة مائية هائلة، من أنهار ومياه جوفية وأمطار. وتنوع في المناخ، ولكن سوء السياسة والإدارة والرعاية رفعت فاتورة وارداته من المواد الغذائية من اثنين وسبعين مليون دولار سنة ١٩٩٠م إلى مليار دولار، وإذا كانت كندا وأستراليا من أكبر مصدري القمح، فإن السودان من أكبر مستوردي القمح، إذ يستورد ٢,٢ مليون طن سنويًا.

ختامًا نقول: من لا يملك غذاءه لا يملك قراره، فبعد أن استعرضنا الخيرات والثروات الموجودة في المنطقة العربية من دون التطرق إلى الدول الأخرى، يتبين لنا أنه بإمكان دولة الإسلام القادمة قريبًا بإذن الله تعالى، ليس تحقيق الأمن الغذائي لرعاياها فقط، بل بإمكانها أن تصبح دولة زراعية عالمية مؤثرة من ناحية دولية.

وأخيرًا، لا بد من التنويه أن الثروة الزراعية التي من خلالها يتم تحقيق الأمن الغذائي ترتبط ارتباطًا حتميًا مع الثروة الصناعية التي لا تقل أهمية عن الثروة الزراعية، بل هي الأساس الذي تعتمد عليه الدول في تقدمها وتنافسها، فالسياسة الصناعية في الإسلام تتبع طريقًا واحدًا، ألا وهو تصنيع الآلات المدنية والعسكرية مع كافة التزاماتها وقطع غيارها، وبالتالي تفوت الفرصة أمام الدول الكافرة بأن تتحكم في أمور وسياسة الدولة وإدارتها.

وباتباع هذه السياسة الزراعية والصناعية في ظل دولة الإسلام يتم تحقيق الأمن الغذائي والصناعي، وهذا يمكننا من عدم إتاحة الفرص للاستعمار ودوله من التحكم فينا، وبالتالي تبقي الدولة في مهمتها الثانية بعد تطبيق الأحكام الشرعية ألا وهو حمل الدعوة الإسلامية إلى العالم بعد أن تهيَّأت اقتصاديًا وعسكريًا لذلك، وبالتالي تبقى في حالة جهاد مستمر.

فالحل يكمن في تطبيق الإسلام، وإعادته إلى معترك الحياة، وتنصيب خليفة يسوسنا بشرع الله، يطبق أحكام الأراضي، ويوظف الإنتاج الوفير خير توظيف لمصلحة الأمة، ويزيد من إنتاج الأمة زراعيًا وحيوانيًا وصناعيًا، لتستغني عن غيرها، ويصبح غيرها محتاجًا لها، وبمجرد إعلان الخلافة واستمرارها بإذن الله سوف يختفي هذا المصطلح، ويعم الخير العالم أجمع، اللهم عجل لنا بنصرك وفرجك.■

التضحية بالنفس والمال والوقت، واحدة من أهم صفات حامل الدعوة

أنيس

إن حمل الدعوة عمل عظيم وطريق صعب وشاق، سلكه رسولنا الكريم محمد ﷺ من قبل وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، وأورثوه لمن آمن بهذه الدعوة من بعدهم؛ ليخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عباد رب العباد. ولا يحمل صعوبة هذا الطريق ومشاقه إلا من وطَّن نفسه وصقلها ورباها على صفات الخير التي يجب أن يتحلَّى بها حامل الدعوة، ومن أهم هذه الصفات هي التضحية.

والمراد بالتضحية: التبرع بالشيء دون مقابل، كالتضحية بالنفس، أو المال، أو العمل، أو الوقت، أو الجاه، أو العلم، أو المنصب... أو غير ذلك، حتى يظنَّ الإنسان أن لا حقَّ له فيما زاد عن حاجاته الضرورية، فيبذل جهده في تقديم ذلك دون مقابل ماديٍّ يناله مكافأةً على تبرعه، وإنما يرجو بذلك كله وجه الله، ونصرة دينه.

فلا تُنال المعالي بالأماني، ولا تقوم الدعوات إلا على ألوان البذل والتضحية بشتى صنوفها. وإذا عُرف أن ابتلاء الدعاة سنة ماضية، تبيَّن أن الدعوة الحقة لا تقوم بلا تضحية.

فالتضحية بالنفس صفة يجب أن يتحلى بها حامل الدعوة، ويوطِّن نفسه على ما سيصيبه من أذى في هذا الطريق من تعذيب وتكذيب وملاحقة وقطع للأرزاق وسجن وتضييق عليه في كل مناحي الحياة، حتى يصل الأذى إلى القتل. وله في هذا كله أسوة حسنة في الأنبياء والمرسلين وصحبهم الكرام ومنهم نبينا محمد ﷺ وصحابته.

فرسولنا الأكرم صلوات الله وسلامه عليه لم يسلم في طريق تبليغ دعوته من أذى المشركين، فمنذ أن صعد الصفا، وأنذر عشيرته الأقربين، بدأت أصناف الأذى تلحق به، فوصفوه بالساحر والمجنون بعد أن كان الصادق الأمين، وأوذي وأصحابه أشد الأذى، وابتُلوا أعظم البلاء، فصار يعرض نفسه على القبائل في الحج يطلب حمايته ليبلِّغ دين الله، وقصد الطائف لعله يجد بغيته، فرجع مُدمى القدمين طريدًا، وحوصر وأصحابه وأنصاره في الشعب ثلاث سنين حتى أكلوا أوراق الشجر من الجوع. وقد كان لكثير من أصحابه ﷺ صفحات طويلة من البذل والتضحيات، فقد أوذي بلال وسمية وياسر وعمار حتى بلغ منهم التعذيب مبلغه، وفاضت روح سمية وياسر في سبيل ما يحملون من عقيدة ومبدأ راغبين بما عند الله من أجر ومثوبة وجنة عرضها السماء والأرض. وضربت قريش عبدالله بن مسعود ضربًا مبرحًا حتى سالت الدماء من وجهه؛ لأنه قام فيهم يسمعهم ما نزل على رسول الله ﷺ من وحي وهو فرح مسرور بما لاقاه؛ لأنه يدرك أن ما يلاقيه سيكون له ذخرًا عند الله حتى إنه قال:

«والله ما كان أعداء الله أهون فى عيني منهم الآن، وإن شئتم لأغادينَّهم بمثله غدًا، قالوا : لا، حسبك، لقد أسمعتهم ما يكرهون». ويهجر مصعب رضي الله عنه النعيم والدعة، ويهاجر داعية إلى الإسلام في المدينة. ويعرِّض عليٌّ رضي الله عنه نفسه للهلاك بنومه في فراش النبي ﷺ عشية الهجرة، ويرمي البراء نفسه بين الأعداء في حديقة الموت فيفتح الله للمسلمين بسببه، ويُعرِض أبو الدرداء عن التجارة تفرغًا لمجالسة النبي ﷺ، ويتقبل خالد بن الوليد التنازل عن منصبه طاعة لأمير المؤمنين، ويتنازل أبو عبيدة عن إمارة الجيش لعمرو بن العاص جمعًا لكلمة المسلمين.

فكل دعوة لا تنتشر إلا بجهود أتباعها، ودين الإسلام لم ينتشر براحة الأبدان وسلامة النفوس. فلم يكن دين الإسلام ليصل إلينا لولا الهمة العالية لصحابة رسول الله ﷺ وجميع المسلمين من بعدهم الذين تركوا أوطانهم، وغادروا الأهل والولدان والتجارة، وبذلوا في سبيل ذلك الأنفس والأموال. فقد أيقنوا انهم يحملون مسؤولية جسيمة وواجبًا عظيمًا، وأنهم ورثة النبي ﷺ في تبليغ دعوة الله وتطبيق شرع الله في دولة الخلافة؛ ليرى الناس عدل الإسلام ورحمته، فيدخلوا في دين الله أفواجًا، فهان في أعينهم كل شيء دون هذا الواجب العظيم، ودون هذه الدعوة.

أما التضحية بالمال، فحامل الدعوة يتأسى بالصحابة الكرام في البذل والعطاء والسخاء فيما يملك من مال، فالدعوة تحتاج إلى أموال ونفقات لتقوم بأعمالها، ومَنْ أحرى وأحق من حامل الدعوة في النفقة على دعوته وأعمالها، فيتعاهدها بالإنفاق كما يتعاهد أولاده ومن يعول بالنفقة، ويسارع في أعمال الخير استجابة لقول الله سبحانه وتعالى :﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ وقوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾. وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾. والآيات في هذا المقام كثيرة تحث على الإنفاق في سبيل الله. ومما جاء من أحاديث رسول الله ﷺ في الحض على الانفاق قوله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، يقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**». وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: أَنْفِق يا ابن آدم أُنْفِق عليك**» رواه البخاري ومسلم.

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذه المعاني فهمًا صحيحًا وعملوا بها، فكانت مواقفهم منارة يهتدي بها كل من سار على دربهم، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأتي بكل ماله ويضعه بين يدي رسول الله ﷺ ويسأله الرسول ﷺ ما تركت لعيالك فيقول

تركت لهم الله ورسوله. وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يجهز جيش العسرة حتى قال رسول الله ﷺ فيه «**ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم**» ويشتري البئر في المدينة من اليهودي ويقفه للمسلمين، وذاك أبو طلحة يقف أحب ماله إليه بيرحاء يضعه بين يدي رسول الله ﷺ ليضعه حيث يشاء عندما سمع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ وصهيب يتخلى عن كل ماله ليلحق برسول الله ﷺ في المدينة، وكان صحابة رسول الله ﷺ يتسابقون في البذل والعطاء والإنفاق ولو بالقليل، وكانوا حريصين كل الحرص على هذا الخير لعلمهم ويقينهم أن ما ينفقون يبقى لهم عند الله. ومن شدة حرصهم على باب الخير هذا، اشتكى فقراء الصحابة رضوان الله عليهم للرسول ﷺ أنهم لا يجدون ما ينفقون، وأن أهل الغنى قد سبقوهم بالأجر. فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه «**أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال: وما ذاك؟ قالوا يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة**».

فإنْ تعود حامل الدعوة على تقديم المال، ولو القليل، حال الفقر والحاجة، وبشكل أخص في أوقات الشدائد والأزمات، التي تكثر فيها حاجات الدعوة، وتستدعي مزيدًا من التضحيات يصقل نفسه وينقيها من التعلق بالدنيا. فباب الانفاق على دعوة تعيد للمسلمين مجدهم وتجعلهم سادة الدنيا من جديد لهو من أفضل أبواب الخير، وهو جامع لكل خير بإذن الله.

وأما عن التضية بالوقت، فكما أن على حامل الدعوة أن يخصص جزءًا من وقته في الليل والنهار، وأن يخصص أفضل وقته ليؤدي الأمانة التي حملها على عاتقه، وآمن أنها طريق خلاص هذه الأمة مما هي فيه من ضنك العيش وبعد عن الله وتسلط أعداء الله عليها. فالتضحية بأفضل الأوقات لدى حامل الدعوة لدعوته، وجعلها في رأس أولوياته ومدار حياته، يبتغي من وراء ذلك رضى الله سبحانه وتعالى، مضحيًا براحته ونومه، وربما مضحيًا ببعض من وقت عمله ليحمل دعوة ربه، ولإيمانه أن الله يدَّخر له هذه التضحية في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ويبارك له في أوقاته وجميع أعماله، ويبارك له في رزقه، فيقينه بأن رزقه سيصله لا ينقص منه مثقال ذرة، إن عمل عشرين ساعة أو عمل ثماني ساعات، أو أكثر أو أقل، فالرزق مقسوم، ولن يموت قبل أن يستوفيه. هذا الايمان هو الذي يدفع حامل الدعوة دفعًا ليحمل دعوته في كل ساعات يومه، وأينما حلَّ أو ارتحل: في مكان عمله، وفي بيته بين أهله وأولاده ومع جيرانه، وفي حيِّه ومنطقته، يقول الحقَّ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقسم وقته بين عمله، ودراسته الثقافة المركَّزة

والعامة، وقيامه بالزيارات المقصودة، وكل ما يتطلبه حمل الدعوة منه. فهو دائم الاستعداد للقيام بما يكلف به دون تردد ولا تلكؤ. عالي الهمة والحماس، يحمل بين جوانحه قلب رحيم بالناس، يحب لهم الخير، حريص على نفعهم ومصالحهم، وعلى نقلهم من الحال التي لا ترضي الله سبحانه لحال ترضيه سبحانه وتعالى. يحب لهم ما يحب لنفسه وما أنعم الله عليه من فهم ووضوح رؤية.

فهذه الساعات والدقائق التي نعيشها في هذه الدنيا هي أعمارنا، فعلينا أن نملأها بطاعة الله وبما يرضي الله، لا أن نسعى في تضييعها باللهو ولو كان مباحًا، ولا بالغفلة عما أوجبه الله علينا. فكل إنسان عليه أن يضع برنامجًا يوميًا لأعماله (وبالأخص حامل الدعوة) ليحاسب نفسه إن قصر قبل أن يحاسب. فتدارك التقصير في الدنيا ممكن ومقدور، أما في الآخرة فلا عمل، بل ندم على التقصير وحسرة، ولات ساعة مندم. فعن أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عمره فيمَ أفناه؟ وعن علمه فيمَ فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ وعن جسمه فيمَ أبلاه**» رواه الترمذي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**» رواه الحاكم بالمستدرك.

ومما هو مدرك ومحسوس أن الله بارك في أوقات العلماء الصادقين، فعملوا ما يصعب تصوره في الحسابات المادية، وبارك في أقوالهم وأفعالهم وكتبهم؛ فبلغت مبلغًا من النفع والأثر ما لم يخطر لهم على بال مما يكاد ألاَّ يتصوره غيرهم، وقد كانوا عظيمي التضحية بأوقاتهم.

وما يترتب على التضحية بكل أشكالها والجهود المبذولة من ثمرات ومنافع وهداية لا تخطر ببال صاحبها، ولا يعلم مداها إلا الله تعالى، مصداق حديث النبي ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**».

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**». وقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه يوم فتح خيبر في حديث طويل: «**فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**». وهو ليس خاصًا بعلي رضي الله عنه، بل هو عام لكل أمة النبي محمد ﷺ.

وأخيرًا، فما دامت الدعوة لا تقوم إلا على التضحيات، فقد أدرك كل واحد من الدعاة ما يجب عليه.

اللهم إنا نسألك الرشاد والسداد وحسن القول والعمل، وأن تجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، واجعلنا مفاتيح للخير ومغاليق للشر، ومُنَّ علينا بخلافة راشدة على منهاج النبوة بفضلك وجودك وكرمك يا ذا الجلال والإكرام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.■

التايمز: هذه أهمية مسلمي بريطانيا للقوات المسلحة

أشارت صحيفة "التايمز" في افتتاحية لها إلى أن المسلمين لديهم تاريخ حافل في القتال إلى جانب القوات البريطانية. وتقول الافتتاحية، التي ترجمتها "عربي٢١"، إن المسلمين الذين قاتلوا في الجيش الهندي البريطاني ساهموا مساهمة كبيرة في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، مشيرة إلى أنه في زاوية من مقبرة نوتردام دي لوري في شمال فرنسا شواهد لقبور ٥٠٠ جندي يمكن تمييزها عن بقية القبور؛ نظرًا لتوجهها لمكة. وتستدرك الصحيفة بأنه رغم هذا التاريخ، فإن الجيش البريطاني كافح خلال السنوات الماضية لجذب المسلمين البريطانيين والدخول في الجندية... لأن القوات المسلحة تمثل قوة تصحيحية للبلاد، ويجب على السكان أن يكونوا جزءًا من هذه القوة، أو يشعروا أنهم ممثلون فيها، وإلا شعروا أنها ضدهم، وبهذا ينغرس في داخلهم شعور التهميش والعزلة". وتفيد الافتتاحية بأن "الجيش يدرك أنه بحاجة لأن يجذب عددًا كبيرًا من المسلمين إلى صفوفه، لكن القوات المسلحة والجنود يحبون الخمر، والمسلمون لا يتناولونه، ويخشى بعض المسلمين، وهم محقون في هذا، من تعرضهم للعنصرية والعنف، بالإضافة إلى أن مشاركة بريطانيا في حروب ضد دول مسلمة لا تساعد أيضًا على جذب المسلمين".

وترحب الافتتاحية بمبادرة مدرسة "توحيد الإسلام الثانوية للبنين" في مدينة بلاكبيرن، وهي أول مدرسة تقوم بالإعلان عن مرشحين للجيش، حيث سيقوم الطلاب في المدرسة بتمارين عسكرية، وقراءة للخرائط، وطريقة معالجة الجرحى، لافتة إلى أن هذا الأمر تم بمباركة من أئمة المساجد في المدينة.

الوعي: تختفي وراء هذا القرار سياسة خبيثة من بريطانيا أم المؤامرات على المسلمين، هو أنه لا يوجد من أبناء البلد الأصليين ما يكفي للانخراط في صفوف الجيش، وإذا وجد فلن يكونوا مثل المسلمين في ساحات الوغى. ويختفي وراءه إدماج المسلمين في الحياة الغربية المنقطعة الصلة بالله، وأن يقاتل المسلمون ويموتوا في سبيل غير الله، في سبيل الطاغوت، بل أكثر من ذلك قد يكونون ضد أبناء المسلمين وبلاد المسلمين التي تتزعم بريطانيا عداءها لهم، ويا ويل هؤلاء الأئمة الذين باركوا هذه الدعوة من الله... إنهم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم "دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها". ■

في إطار سياسة الانفتاح الخيانية: رئيس تشاد في (إسرائيل)

قالت صحيفة "البايس" الإسبانية إن رئيس الوزراء (الإسرائيلي)، بنيامين نتنياهو، بدأ بخطوات جديدة تعتمد سياسة الانفتاح الدبلوماسي على العالم العربي والقارة الأفريقية. وقالت الصحيفة، في تقريرها الذي ترجمته "عربي٢١"، إنه قد اجتمع برئيس دولة تشاد إدريس ديبي، في مكتبه بالقدس رغم انقطاع العلاقات بين البلدين طيلة ٤٦ سنة. ووصف الزيارة بالتاريخية وأكد الرئيس التشادي، الذي تم الإعلان عن زيارته قبيل ساعات من هبوط طائرته في (إسرائيل)، أن "قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين منذ سنة ١٩٧٢ لم يمنعنا من الحفاظ على علاقات جيدة معها".

وصرح الجنرال ديبي، عقب الزيارة الأولى من نوعها والذي تولى رئاسة إنجمينا بعد الإطاحة بالدكتاتور حسين حبري سنة ١٩٩٠م، أنها ركزت بصفة خاصة على "مناقشة القضايا الأمنية" وأكد ديبي أن "كلا البلدين يتشاركان في مكافحة آفة هذا القرن ألا وهي "الإرهاب". كما قام الجيش التشادي بشراء مجموعة من الأسلحة والمعدات العسكرية من (إسرائيل) لمحاربة تمرد بوكو حرام في صحراء شمال أفريقيا. ونوهت الصحيفة إلى أن الجيش التشادي تلقى مؤخرًا مركبات وسفن عسكرية من الولايات المتحدة كمساهمة في حربه ضد تنظيم الدولة وسط وغرب أفريقيا.

الوعي: هؤلاء هم حكام المسلمين، بعضهم من بعض في العمالة والخيانة للأمة ولدينها. فديبي هذا، مثله مثل غيره من حكام الضرار يقطعون العلاقة مع (إسرائيل) ويحافظون على علاقات جيدة معها كما ذكر. ومثله مثل غيره من هؤلاء الحكام مشغولون بمحاربة الإسلام تحت الشعار الغربي (محاربة الإرهاب)... وجزاء على زيارته هذه سيعطى سلاحًا لقتل المسلمين. حسبه جهنم وبئس المصير.■

إفتاء تونس يؤيد مساواة المرأة مع الرجل في الميراث

أثار الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي الكثير من الجدل، بعدما طالب الحكومة بإلغاء منشور يمنع زواج المرأة المسلمة من غير المسلم، فضلًا عن تعهده بإيجاد صيغة قانونية تساوي المرأة بالرجل في الميراث. وقد أيّد ديوان الإفتاء التونسي في بيان عبر موقعه على فيسبوك مطالب الرئيس التونسي، الذي وصفه البيان بأنه "أستاذ وأب بحق لكل التونسيين وغير التونسيين"، مع التأكيد أن ما دعا إليه يوافق صحيح الدين استنادًا إلى قوله تعالى: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف". وكان الرئيس التونسي قد طلب من الحكومة إيجاد "صيغة قانونية" لا تتعارض مع الدستور ومبادئه، ولا مع الدين ومقاصده، مراهنًا على "ذكاء التونسيين ورجال القانون"، بالإضافة إلى مطالبتها بالتراجع عن منشور صدر عام ١٩٧٣، يمنع المسلمات من الزواج بغير المسلمين في تونس.

الوعي: أبرز ما يلفت النظر في هذا الخبر، هو هذه الثنائية بين الحكام ورجال الدين الرسميين الذين يطوِّعون الدين لأمر هؤلاء الحكام. إنهم علماء سوء بكل معنى الكلمة، وقد أخذ الحكام منهم دينهم مقابل سمعة زائفة ومتاع حقير من الدنيا.■

السودان على صراط المغضوب عليهم في تطبيع العلاقات مع (إسرائيل)

قال باراك رافيد، المحلل السياسي في القناة (الإسرائيلية) العاشرة، إنه "بعد عشرات السنوات من العداء، ربما تشهد العلاقات بين إسرائيل والسودان دفئًا وسخونة، انطلاقًا من الجهود التي تبذلها الحكومة الإسرائيلية لتحسين علاقاتها مع الدول العربية؛ بهدف إقامة تكتل إقليمي لمواجهة إيران". وذكر أنه "بعد السنوات المتوترة بدأ السودانيون بضغط من السعوديين بعملية قطع لعلاقاتهم مع الإيرانيين". وأشار إلى أن "قطع العلاقات الإيرانية السودانية الذي راقبته إسرائيل عن كثب، بدأ بطرد الملحق الثقافي الإيراني من الخرطوم، وصولًا إلى قطع نهائي للعلاقات بين الخرطوم وطهران، كما أوقف السودانيون عمليات تهريب الأسلحة التي كانت تتجه إلى قطاع غزة.

في تقرير مطول ترجمته عربي٢١ ذكر أن "السودان كدولة أفريقية ظهرت كأنها تحصل على دعم إسرائيلي في الساحات الدولية"، ومن ذلك: ذكرت صحيفة هآرتس (الإسرائيلية) أنه في عام ٢٠١٥م، أقامت (إسرائيل) اتصالات سرية مع السودانيين، وقامت بإيجاد مجموعة ضغوط لوبي (إسرائيلي) من أجل السودان، في أميركا وأوروبا لمساعدته في تسديد ديونه الدولية المستحقة عليه، وكذلك لإنقاذ البشير من اتهامات من محكمة الجنايات الدولية في لاهاي، وأمر اعتقال من منظمة الإنتربول الدولي، هذا ولم تستبعد "هآرتس" أن يقوم رئيس الوزراء (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو بزيارة إلى السودان، وذلك في إطار عملية التطبيع مع الدول العربية.

الوعي: السودان من أكثر الدول التي تدعي أنها إسلامية، وفي الوقت نفسه هي من أكثر الدول التي يأكل كلامها أفعالها، والتي تصل في كثير من الأحيان إلى النقيض، على كل إن مثل هذه السقطات من أمثال هؤلاء الحكام لا تحسبوه شرًا للأمة بل هو خير لها.■

الجزائر تريد ترحيل ٤٣ معارضًا وتسليمهم للنظام السوري

قالت المعارضة السورية إن السلطات الجزائرية تنوي ترحيل ٤٣ معارضًا سوريًا، وتسليمهم إلى النظام السوري في دمشق، والمحتجزون هم من المعارضين السوريين، ممن خرجوا خلال الأيام الفائتة من الجنوب السوري ومنه الى تركيا ثم إلى السودان ثم إلى مالي ومنها إلى الجزائر حيث تم احتجازهم. وتمت الإشارة إلى تدخل وسيط دولي (رفض الكشف عن هويته) من أجل الحيلولة دون تسليم المحتجزين إلى النظام السوري، حيث من المقرر أن يرحّلوا إلى مطار المزة العسكري. وذكر أنه حصل على تطمينات بأنه لن يتم تسليمهم للنظام السوري؛ لكنه أشار في الوقت نفسه إلى «وجود مخاوف حيال مصداقية هذه التطمينات». ومعلوم أن ترحيلهم وتسليمهم لا يعني إلا الموت أو الاعتقال والانتقام.

الوعي: وإن تعجب فعجب هذا النظام الجزائري الذي يقف رئيسه على حافة قبره، وهو أكثر ما يكون تمسكًا بكرسي الحكم وبحطام الدنيا. ومواقفه ضد المسلمين وقضاياهم، في صف واحد مع أعداء الأمة تزداد شراسة.، فحسبه الله ونعم الوكيل.■

قال الله تعالى

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

في هذه الآيات يبين الله سبحانه ما يلي:

١. بعد أن جاءت بني إسرائيل من بعد موسى الحجةُ القاطعة على أن طالوت هو ملكهم وذلك بإتيان التابوت إليهم صَدَّقوا وساروا مع طالوت لملاقاة عدوهم.

ثم أعلمهم طالوت أن الله مبتليهم بنهر من باب الاختبار لبيان صدقهم وإخلاصهم في ملاقاة عدوهم، وكان ذاك الابتلاء أن لا يشربوا من النهر كراعًا بمعنى أن لا يأخذوا الماء بأفواههم مباشرة من النهر، وأعلمهم أن من شرب الماء كراعًا من النهر فليس من أتباعه وأصحابه ومن لم يشرب أو شرب ولكن بغرفة بيده فإنه من أتباعه.

وكانت نتيجة الابتلاء أن شربوا كلهم كراعًا إلا القليل منهم، فسار بمن آمنوا معه لملاقاة العدو، فلما رأوا عدوهم رأي العين قال قسم منهم أن لا طاقة لهم بقتال جالوت وجنوده، ولكن القسم الآخر وهم شديدو الإيمان بالله الذين يتطلعون إلى الآخرة أكثر من تطلعهم إلى الدنيا، وهم الفريق الأقوى إيمانًا الذين فاقوا الفريق الآخر بأداء الطاعات وحسن التقرب إلى الله، قالوا مشجعين

الفريق الآخر أن لا عبرة بكثرة العدد، بل بعون الله، والنصر مع الصبر، والله مع الصابرين.

واندفعوا مع طالوت وهم يدعون الله أن يفرغ عليهم صبرًا ويثبت أقدامهم وينصرهم على القوم الكافرين.

فاستجاب لهم الله سبحانه ومكَّنهم من أعدائهم فهزموهم بإذن الله وقتل داود - عليه السلام – جالوت، وأنعم الله على داود بالملك والنبوة، وعلمه غير ذلك مما ينفعه في دنياه كصنعته السلاح والحديد وما يعينه في الجهاد في سبيل الله.

ثم يبين الله سبحانه في آخر هذه الآيات أنه لولا الجهاد لفسدت الأرض، ولكن الله سبحانه تفضل على العالمين بأن أرسل رسلًا يدعون الناس لدين الله ويقاتلون بالمؤمنين أعداء الله ليحولوا دون فساد المفسدين وظلم الظالمين.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ أي غادر معهم المدينة التي كانوا فيها وساروا باتجاه عدوهم لقتاله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ أي مختبركم بالمرور على نهر.

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي من كرع من النهر فشرب بفيه؛ لأن الشرب من النهر على الحقيقة هو هكذا وليس تناولًا.

﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ أي من أتباعي.

﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ أي لم يذقه، من طَعَم الشيء إذا ذاقه مأكولًا كان أو مشروبًا - حكاه الأزهري - وفي هذا مفهوم موافقة، فالنهي عن ذوق الماء كراعًا يعني شدة النهي عما زاد عن ذوق الماء، أي شربه كراعًا.

﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ أي شرب متناولًا بيده، وهذا استثناء منقطع لأن النهي هو عن الشرب الكراع، والاستثناء للشرب تناولًا باليد وهو ليس من الشرب الكراع، فهو منقطع بمعنى لكن (**لكن من اغترف غرفة بيده**) فهو مني.

قرأ عامة أهل المدينة والبصرة (أبو عمرو وابن كثير ونافع) بنصب الغين من الغرفة بمعنى الغرفة الواحدة من قولك: اغترفت غرفة، والغرفة هي الفعل بعينه من الاغتراف.

وقرأ آخرون بالضم بمعنى الماء الذي يصير في كف المغترف، فالغَرفة الاسم، والغُرفة المصدر، والغَرفة بالنصب معناها المرة، والغُرفة بالضم تعني الماء في اليد، سواء أكان مرةً أم مراتٍ، وحيث

إن القراءتين متواترتان والمعنى واحد، فيكون المعنى المحكم المشترك بين القراءتين هو: المغترف من الماء مرة واحدة.

أما ﴿بِيَدِهِۦ﴾ بعد غرفة فهو قيد لها، (فالغرفة) نكرة في سياق الإثبات فهي مطلقة. و﴿بِيَدِهِۦ﴾ قيد لها فيكون المستثنى هو الذي تناول الماء بيده وشرب مرة واحدة، أي أن الذي سيكون من أتباع طالوت هو ذاك الذي لا يشرب كراعًا من النهر ويمضي مجتازًا له، أو لا يشرب كراعًا ولكن يغترف من النهر بيده مرة واحدة فقط، ويمضي مجتازًا له.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ أي أصحاب اليقين بملاقاة الله وهم شديدو الإيمان الذين يتطلعون إلى الآخرة فوق تطلعهم إلى الدنيا وأنَّ ملاقاة ربهم تأخذ عليهم العقول والسمع والأبصار.

فالظن هنا بمعنى اليقين بملاقاة الله بقرينة قولهم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وهذا يعني أنهم لا يشكون بملاقاة الله وهي قرينة على أن الظن هنا بمعنى اليقين.

﴿جَالُوتَ﴾ أعجمي معرب كما قلنا في (طالوت).

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة، وقد جمع الله لداوود على بني إسرائيل الملك والنبوة، وكان الملك منفصلًا عن النبوة كما بينا في الآيات السابقة من قولهم لنبيهم أن يبعث لهم ملكًا.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي ولولا فرض القتال في سبيل الله لِرَدْع أهل الشرور والفساد.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۖ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

هذه الآية يختم الله سبحانه بها ما أنزله على رسوله من أحكام وآيات دالة على صدق نبوته صلوات الله وسلامه عليه.

وكل من تدبرها بإعجازها في لغتها وأسلوبها وصِدْق إخبارها بمغيبات لا يعلمها بشر إلا بوحي من ربه، والإيمان الموافق للفطرة والعقل الذي دعت إليه الآيات، وعدم اختلافها في كل ما حوته من أحكام وأخبار، كل ذلك ينطق بصدق رسول الله ﷺ وأنَّه رسول من رسل الله الذين أرسلهم لإنقاذ عباده من الظلمات إلى النور ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.■

فضل العلم على نوافل العبادات

- قال القرطبي رحمه الله: «فلو كان شَيْءٌ أشرف من العلم لأمر اللَّه تعالى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم» (تفسير القرطبي ٤١/٤)

- قال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله: «طلب الحديث في هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع؛ لأجل دروس السنن وخمولها، وظهور البدع واستعلاء أهلها». شرف أصحاب الحديث، ص٨٦.

- عن زيد بن أسلم، أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول: «لأن أجلس في مجلس فقه ساعة أحب إلي من صيام يوم وقيام ليلة». البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى.

- وعن وكيع بن الجراح، قال: سمعت سفيان الثوري، يقول: «لا أعلم شيئًا من الأعمال أفضل من العلم أو الحديث لمن حسنت فيه نيَّتُه». الدارمي في سننه.

- وَعن قتادة، قال: كان مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير يقول: «فضل العلم أحب إلى الله من فضل العبادة» أحمد في سننه.

- وَعن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، قال: «حظٌّ من عِلم أحب إلي من حظ من عبادة». أخرجه عبد الرزاق في مصنفه.

- وقال قتادة، قال ابن عباس: «تذاكر العلم بعض ليلة أحبُّ إليَّ من إحيائها». البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى.

- ثم روى ابن عبد البر، عن إسحاق بن منصور، قال: قلت لأحمد بن حنبل: قوله «تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها»؛ أيُّ: عِلم أراد؟ قال: هو العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم، قلت: في الوضوء، والصلاة، والصوم، والحج، والطلاق، ونحو هذا؟ قال: نعم قال إسحاق بن منصور: وقال إسحاق ابن راهويه: هو كما قال أحمد». جامع بيان أهل العلم وفضله.

- وعن عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر، عن الزهري قال: «ما عُبِدَ الله بمثل الفقه». البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى.

– وَعن أبي قَطَن، عن أبي حُرَّة، عن الحسن، قال: «العالم خير من الزاهد في الدنيا والمجتهد في العبادة؛ ينشر حكمة الله، فإنْ قُبِلَت حِمَد الله، وإن رُدَّت حَمِد الله». جامع بيان أهل العلم وفضله.

– وعن الربيع بن سليمان المرادي، قال: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: «طلب العلم أفضل من صلاة النافلة». البيهقي في المدخل.

– وعن الربيع بن سليمان، قال: سمعت الشافعي يقول: «ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم»، قيل له: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل». أخرجه البيهقي في المدخل.

– وقيل لعبد الله بن المبارك: لو قيل لك: لم يبقَ من عمرك إلا يوم؛ ما كنت صانعًا؟، قال: «كنت أُعَلِّم الناس». البيهقي في المدخل.

– وقال الإمام البيهقي رحمه الله: «باب فضل العلم خير من فضل العبادة». المدخل إلى السنن الكبرى.

– وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله في جامع بين العلم وفضله: عن سفيان الثوري، قال: «ما أعلم على وجه الأرض من الأعمال أفضل من طلب الحديث لمن أراد به وجه الله». وعن وكيع بن الجراح، قال: «ما عُبِد الله بشيء أفضل من الحديث». عن وكيع أيضًا قال: «لولا أن الحديث أفضل عندي من التسبيح ما حدَّثت». وعن محمد بن عمرو بن عطاء قال: كان موسى بن يسار معنا يحدِّث، فقال له ابن عمرو: «إذا أنت فرغت من حديثك فَسلِّم؛ فإنك في صلاة». وعن أبي ثوبان مِزداد بن جميل البَهْرَاني قال: سأل عمرُ بن سهيل المعافى بن عمران، فقال له: يا أبا عمران، أيُّ شيء أحب إليك؟ أصلي أو أكتب الحديث؟ فقال: «كتابة حديث واحد أحب إليَّ من صلاة ليلة».

– وقال النووي رحمه الله: «والحاصل أنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن؛ ومن دلائله، سوى ما سبق، أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين، والنوافل المذكورة مختصة به. ولأن العلم مصحِّح؛ فغيره من العبادات مفتقر إليه، ولا ينعكس. ولأن العلماء ورثة الأنبياء، ولا يُوصَف المتعبِّدون بذلك. ولأن العابد تابع للعالم مُقْتدٍ به مُقلِّد له في عبادته. ولأن العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه، والنوافل تنقطع بموت صاحبها. ولأن العلم صفةٌ لله تعالى. ولأن العلم فرض كفاية؛ فكان أفضل من النافلة. ■

خارطة طريق الحل الأميركي في سوريا

أعلن الممثل الأميركي الخاص إلى سوريا السفير جيمس جيفري ما يشبه خارطة طريق أميركية للحل في سوريا، فصرح أن «الولايات المتحدة تعتقد أن المرحلة القادمة في سوريا ستشهد هزيمة تنظيم الدولة، وتفعيل العملية السياسية، وإنهاء الحرب الأهلية الممتدة منذ فترة طويلة». وأعرب عن الأمل بأن «تنتهي الحرب في سوريا ضد تنظيم الدولة الإسلامية **خلال الشهور المقبلة**»، ولكنه أكد بقاء القوات الأميركية بهدف عدم ظهور التنظيم مرة أخر، ولضمان ألا يجدد نفسه، معلِّلاً ذلك بأنه يعتبر «أنه لا يمكن تحقيق الهزيمة الدائمة لداعش قبل حصول تغيير أساسي في النظام، وتغيير أساسي في دور إيران في سوريا، إذ ساهم هذا الدور بشكل كبير في ظهور داعش في المقام الأول في العام ٢٠١٣و ٢٠١٤.

وذكر جيفري أن «روسيا التزمت خلال قمة إسطنبول بإنجاز لجنة صياغة الدستور قبل نهاية العام الحالي، وسنحاسبها بخصوص التزامها بعقد اللجنة الدستورية بحلول ذلك الوقت، ونتوقع أن تستخدم نفوذها لجلب نظام الأسد إلى الطاولة»، ونوَّه أن «تشكيل لجنة تحت رعاية الأمم المتحدة لبدء العمل على وضع دستور جديد لسوريا خطوة حاسمة لدفع العملية السياسية قدماً».

وحول مسألة انسحاب المليشيات الإيرانية من سوريا قال جيفري: «واشنطن تريد أيضًا انسحاب القوات العسكرية الإيرانية من سوريا بمجرد حل أسباب الصراع». وأوضح أن «خروج القوات الإيرانية من سوريا، حيث تساند حكم الأسد ليس هدفاً عسكريًا أميركيًا، لكن يجب أن يكون نتيجة لعملية إنهاء الحرب الأهلية وأنه السبيل الوحيد لتحقيق سلام دائم» مشيرًا إلى أن «العقوبات التي أعادت الولايات المتحدة فرضها على إيران مؤخرًا ستشجع طهران على تقليص وجودها في سوريا».

الوعي: تعتبر أميركا هي اللاعب الأوحد في سوريا، إذ إن كل الأطراف المتدخلة في الصراع تدخلت، إمّا بأوامر منها من مثل إيران وتوابعها من الميليشات أو تركيا أو العراق أو لبنان... أو بتنسيق معها مثل روسيا. وهي تملك القدرة على منع أي طرف، وخاصة روسيا من تجاوز خطتها... وإننا نقول إنه مهما بلغ التواطؤ والإجرام الدولي بقيادة أميركا على المسلمين في سوريا، فلن تستطيع، هي وكل من في الأرض جميعًا، أن تمنع من عودة الإسلام إلى مسرح السياسة الدولية، إن في سوريا ابتداء أو في غيرها، فهي وعد من الله، وبشرى من رسوله، والله غالب على أمره.■

رئيس أركان الجيش البريطاني:
روسيا أكثر خطرًا على أمننا من تنظيم الدولة الإسلامية

انفردت صحيفة ديلي تلغراف البريطانية بنشر مقابلة مع الجنرال مارك كارلتون - سميث رئيس أركان الجيش البريطاني، هي الأولى معه منذ توليه هذا المنصب، وتقول الصحيفة إن حديث رئيس الأركان جاء بعد عودته من زيارة القوات البريطانية المشاركة ضمن القوة التي نشرها حلف شمالي الأطلسي (ناتو) لردع أي عدوان روسي على دول البلطيق، ووضعت الصحيفة المقابلة في صدر صفحتها الأولى وكرست مقالًا افتتاحيًا للتعليق على خلاصاتها...

وفي المقابلة، حذر رئيس الأركان من أن روسيا تشكل خطرًا على أمن بريطانيا وحلفائها أكبر من خطر الجماعات الإسلامية المتطرفة كالقاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية. وشدد على أن الخطر الظاهر والملموس للمسلحين الإسلاميين «قد تلاشى مع التدمير التام للبقعة الجغرافية لما يسمى بدولة الخلافة»، لذا يرى أن على بريطانيا وحلفائها التركيز على الخطر الروسي، لا سيما بعد الهجوم بعنصر الأعصاب القاتل في سالزبري ببريطانيا مطلع هذا العام. وقال رئيس الأركان إن «روسيا شرعت بجهد منهجي لاستكشاف واستثمار أي ثغرات يمكن استهدافها في الغرب، وبشكل خاص للحرب في بعض المناطق غير التقليدية كالفضاء الإلكتروني والفضاء وفي أعماق البحر".

وفي مقالها الافتتاحي للصحيفة تذكر أن الأولوية الأساسية للأجهزة الدفاعية والاستخبارية في بريطانيا وحلفائها كانت، منذ هجمات ٩/١١، التركيز على مكافحة الجماعات الإرهابية الإسلامية من أمثال القاعدة ومن ثم تنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق، بيد أن رئيس الأركان البريطاني الجديد يركز على أن روسيا هي «بشكل لا يقبل الجدل» ما يمثل التحدي الأعظم للحلفاء الغربيين اليوم، وتضيف أنه وسط تعقيدات مفاوضات خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (بريكسيت)، يجب أن لا تغفل الحكومة البريطانية عن واجبها الأساسي في حماية مواطنيها، ويجب أن تضمن أن تكون الأجهزة الأمنية والدفاعية على أكمل وجه، من ناحية توفير الموارد التي تجعلها قادرة على التعامل مع الخطر الذي تمثله روسيا برئاسة فلاديمير بوتين، وتخلص الصحيفة إلى أن على بريطانيا أن تحمي نفسها من الأخطار غير التقليدية بالتزامن مع تعزيز قدراتها الدفاعية التقليدية.

وكان وزير الدفاع البريطاني غافين ويليامسون قد اعتبر في وقت سابق من هذه السنة أن: "روسيا تمثل خطرًا على بلاده وأوروبا ودول أخرى في العالم"، واعتبر أن روسيا تستخدم كامل ترسانتها العسكرية لتفعيل مصالحها، متهمًا موسكو بالقيام بـ«عمليات خفية واستخدام أساليب الحرب السيبرانية وأعمال تخريبية سياسية واستعراض القوة العسكرية»، ما يعتبر جزءًا من نموذج أوسع للتصرفات الخبيثة، حسب رأيه. واتهمها ضمنيًا بـ «استخدام أسلحة كيميائية» على أراضي أوروبا.

الوعي: هذه التصريحات من المسؤولين البريطانيين الثعالب تنفث في شرر عودة الحرب الباردة بين الغرب والاتحاد السوفياتي.■